



كوكب شوكولاتة

لينا النابلسي

نسخة الكترونية خاصة بكندل أمازون

الغلاف: كريم آدم

المراجعة اللغوية: أحمد عبد المجيد

رقم الإيداع: ١٤٧٩٧ / ٢٠١٤

الترقيم الدولي: ٧ - ٥١ - ٥١٥٣ - ٩٧٧ - ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة



للنشر والتوزيع

١٨٦ عمارات امتداد رمسيس ٢ أمام أرض المعارض مدينة نصر

هاتف: ۰۲۲۰۸۱۲۰۰۶

rewaq2011@gmail.com

[facebook.com/RewaqsPublishing](https://www.facebook.com/RewaqsPublishing)

إهداء..

الكتاب ده مُهدى بشكل شخصي ومباشر وواضح وصريح.. لقلبي..

قلبي اللي بزعل منه وبيزعلني، وبنعرف نتفاهم ونتصالح..

بنعرف نحب ونسامح ونتماسك ونقف على رجلينا مهما كانت الريح قوية وجامدة..

قلبي الوطني الأصيل، واللي بيعرف يثبت على مبدأ وفي نفس الوقت بيغير رأيه لو حد عرف يقنعه بأن رأيه مش سليم ولازم يعيد تفكير..

قلبي اللي لسه من كام يوم كان بيسمع نجاة في العربية وبيغني مع عبد الحليم قارئة الفنجان على أساس إنهم توب تين..

قلبي اللي مبيكسرش بخاطري حتى لو وزني زاد كام كيلو ومعرفتش أخسهم، أو طلعتلي حبوب حوالين شفايفي لمدة شهرين، وبيفضل يقولي إنتي حلوة على طول..

قلبي اللي بيحب الألوان المبهجة والهدايا الصغنة، وبيجبلني ورد كل فترة علشان أفرح، وبيختبر أحضان الدباديب في المحلات قبل ما يشتريها..

قلبي اللي بيعيط على فيلم أنميشن في السينما وياكل شوكولاتة بالبندق وهو بيدمع من شبّاك الطيارة، ويفتكر كل الناس والأماكن والأغاني والحواديت..

قلبي اللي بيفرح بحبة هوا حلوين وشوية قطط بتتمشى بسعادة أو نائمة في الشمس متدفية..

قلبي الأبيض من غير كلوركس، واللي مش محتاج غنوة من الجسمي علشان يستبشر بالخير..

قلبي اللي دايمًا هيستنى العيد واللبس الجديد..

قلبي اللي برغم العيوب استحملني كل السنين اللي فاتت، وهيفضل معايا لآخر لحظة..

قلبي اللي كتب كتاب واتنين وتلاتة، وهيفضل يكتب لحد آخر نفس، وعارف إن الكلام اللي بيخرج من القلب.. بيوصل للقلب.. وعشان كده أنا بهدي الكتاب ده لقلبي بشكل شخصي، ولكل قلوبكم الطيبة اللي الكلام ممكن يخبّط على بابها ويخش بعد ما يستأذنها..

ابتسامات مجهولة المصدر

لقد خاب أمني في الوحدة.. ظننتها رفيقة مسلية.. قادرة على بثّ البهجة بعض الوقت.. أنا لا أحلم ببهجة دائمة حتى لا تفقد معناها..

أنظر في المرأة إلى عينيّ المرهقتين من قلة النوم، وأردد (قلبي جمد زيادة عن اللزوم.. أنا مبعثش زي زمان)..

نحن نستوطن بلادًا جديدة.. نغادر إلى كهوف مظلمة وتروق لنا الرحلة.. نترك جزءًا من أنفسنا هنا وهناك.. ونعود ببقايا خبرة مكتسبة وروح بحاجة إلى (ترزي شاطر).. ليعيد (تقييف) شخصيتك على مقاسك الجديد..

أغادر المرأة إلى غير رجعة.. على الأقل لمدة يوم كامل..

أفكر بأني أقل فتاة أعرفها تجلس أمام المرأة.. عندما أذهب إلى المصفف لأقوم بتغيير قصة شعري أو صبغ بعض الشعيرات البيضاء التي تظهر من آن لآخر (أجل.. أعترف بأني أقوم بصبغ شعيرات بيضاء في رأسي.. ماما تردد «انتوا ورثتوا الموضوع ده من عماتكم، بتشيبوا بسرعة»، وأنا أذكر أن الشيب ظهر في رأسي وأنا على أعتاب العشرينات).. أجلس لمدة ساعة ونصف وربما أكثر.. أفكر كل دقيقة (إيه التعذيب ده!! هو الواحد ليه لازم يتفرج على نفسه لمدة ساعتين كده وشه في وشها!!).. أشعر بالغرابة عندما أنظر إلى نفسي.. أتابع نظرة عيني.. لون بشرتي.. ملامحي الصلبة الجامدة.. وأفكر (هو إيه اللي إتغير في؟! نحن نتغير ولا نستطيع أن نحدد سبب التغيير.. ربما الشعيرات البيضاء، نوع الصبغة، أو حجم المرأة؟! في الغالب هي كثرة التجارب..

أخرج إلى التمشية.. أسير بخطوات واسعة وعيني مثبتة على صفحة البحر الزرقاء.. الأطفال تركض بسعادة.. والقطط تجلس بجوار العائلات تبحث عن بقايا طعام أو دفء كف

صغيرة بأنامل متسخة بالشوكولاتة..

أبتسم للحجر.. والأطفال والأشخاص والقطط وعمدان النور والسماء والأسماك في قاع البحر.. أرسل ابتسامات إلى النسيم وأحاول أن أفكر على موسيقى (عمر خيرت).. نحن نحتاج إلى ابتسامات مجهولة من وقت للآخر.. ذلك الشعور بالامتنان الذي يأتيك من درجة حرارة ٢٠ مئوية في مدينة جدة الصيفية بجدارة طوال العام.. ذلك ما أبحث عنه.. تواطؤ خفي مع الجو.. يدفعني إلى إعادة النظر في صورتني في المرأة.. والتفكير جديدًا في التوقف عن صبغ الشعيرات البيضاء.. الاستسلام لكوني (بشيب بسرعة زي عماتي) والافتناع الفطري بأن تجاربي التي غيرت مقاس روحي وشخصيتي هي تحصيل حاصل..

عرّف الوحدة:

هي كائن أخطبوطي الشكل.. لزوج بشكل استثنائي.. مفرط الأنوثة.. نكدي بطبعه ويميل إلى الشجن.. يعيش ويستوطن في الأرواح المظلمة.. الموحشة.. ويتغذى على مشاعرك وذكرياتك.. ويؤلّد عقدة نقص.. ورغبة بالابتعاد عن كل أسباب البهجة، يصاحبها بكاء غير مبرر في معظم الأحيان.. زيادة في الوزن لملء حيز ما غير محدد الأبعاد، تنتهي بشعور بالذنب يجعلك على حافة الانهيار..

أنا الآن أسير بهمة حتى لو مصطنعة على البحر.. أدخل إلى صدري الأكسجين بنسب عالية.. أحاول أن أطرد الوحدة والرغبة في تناول قالب كامل من الكيك بالفراولة يكفي عشرة أشخاص.. أنشر الابتسامات وأفكر أن ابتساما ما لطفل صغير ستصطمم بقرص الشمس وترتد إلى صدري.. ابتساما واحدة بدون همّ أو تفكير ستكون كقيلة بطرد الأرواح الشريرة.. والكائنات اللزجة.. وقالب كيكة الفراولة..

ندور بكل قوتنا.. نللم أشلاء التجارب ونلصقها على حائط النفس.. نتباهى بإنجازات هي لم تكن في الأصل لنا.. نتابع دائرة الرحلة التي لا تتوقف.. نبحث عن ترزي ليقوم بخياطة وإصلاح ما أفسده الدهر..

أقف لألتقط أنفاسي وأنا أفكر.. مسكين الدهر.. نلقي على عاتقه بفشلنا.. نلومه على قرارات اتخذناها.. وأحلام أجلناها.. وجروح تركناها لتتقيح ولم نداويها.. ثم ننظر ببلاهة إلى المرأة ونتمتم (أنا مبعثش زي زمان!! هو إيه اللي اتغير في؟!)

لم نعتد أن نجلس لنسامح أنفسنا.. نتقبلها كما هي.. بشعرها الأبيض غير المصبوغ.. نبحت عن أسباب وراثية.. ونولد الخطأ من الخطأ.. ولا نعلم أن ابتسامة واحدة.. كفيلة برتق فراغ مصطنع..

ألمح فتاة إفريقية شديدة السمرة تنظف مراحيض عامة.. تتقاضي ريالاً واحداً من استخدام المرحاض.. أذهب إليها بخطوات ثابتة.. تقف وهي تنظر إلى وجهي.. تنتظر الريال علني أستخدم الحمام.. أمد يدي.. وأعطيها حضناً كبيراً جداً.. أتركها بدهشة وابتسامة كبيرة.. وأضع في يدها الريال.. أغادر وأنا لا أشعر بالشهية لتناول قالب الكيك.. أو لصبغ شعري.. أبحث في حقيبتني عن مرآة صغيرة.. وأهدي نفسي ابتسامة..

مونوبولي

كعبة الجلد الحمراء بشحمها ولحمها ومخدراتها

نحن لا نبدو أفضل لأننا نقرر أن باستطاعتنا التواجد في حيِّز ما بشكل أفضل.. القدرة على تحمل سخافات البشر المفرطة في الجنون وعدم المصادقية تجعلنا نقف في منتصف الطريق نفكر.. هل تستحق الحياة كل هذا العناء وكل تلك المعاناة؟! قد تصل لإجابة محددة وواضحة وضوح الشمس.. لكنك تُصرّ أن تتجاهل نفسك وصوتك الداخلي وكل المعوقات وتتابع التقدم بنفس عدد الخطوات والأنفاس ودقات القلب.. الحياة ببساطة شديدة لا تتعدى كونها لعبة مونوبولي أو بنك الحظ، وغالبًا ما تقابل كل شرئح البشر بطريقة أو بأخرى.. مرة من المرات قرأت دراسة تؤكد بأننا نجذب الشخصيات المضادة في بعض الأوقات، وأحيانًا الشخصيات المشابهة حد التطابق.. وبما إن حضرتك يا فالج يا أذكي إخوانك.. ممكن تقابل شخصًا يطلع عين اللي جابوك في الشغل.. برضه ممكن تقابل توأم روحك وتعيش قصة حياة ولا الأفلام.. وهنا تتساوى الأمور.. اللي بيتأخذ منك بالشمال بيرجعك باليمين.. وعندما تصل إلى تلك النتيجة.. تتنفس بهدوء وتبتسم بصبر، وتستحمل زي الشاطر..

امبارح كنت أعاني من غربة فظيعة.. منفصلة عن روعي تمامًا لدرجة إنني لما صحيت الصبح زي البنات الشاطرين وقعدت على الكعبة الحمراء الجلد العبقريّة بتاعة الليفنج، واللي أصريت عليها لأنها تُدخل البهجة إلى روعي.. لم تدخل البهجة وربما كان الباب مغلقًا تمامًا.. فكرت هو أنا أقدر أرجع أنام تاني مثلاً يقوم اليوم يخلص بسرعة؟! بس مقدرتش، وعلى الساعة واحدة الظهر قررت إنني أضرب بغربتي عرض الحائط وأقوم أعمل حاجات.. في لحظة معينة بعد كام ساعة سيطرت فكرة على دماغي، ربما تكون يوتوبيا على الآخر.. وهي إنني أحاول بقية النهار أرش بودرة بهجة وسعادة وأعمل حاجات للناس هما مش متوقعنها، تقوم فرحتهم تبهت عليّ.. امممم أبندي بيمين؟! رحمة.. طيب.. هدية لرحمة.. لعبة

لحمودة.. عشا من بره لشلة الأنس.. وفي نهاية اليوم عبرت عن مشاعري ورأيي الشخصي في إنجي إبراهيم، تلك الفتاة المميزة في عالم غير مميز وعادي لدرجة الشجن..

الرسائل المشفرة الصغيرة وتلك الذبذبات السعيدة التي كانت تأتيني منهم نستني تمامًا إنني كنت قيد الإقصاء.. عدى اليوم بسرعة أو ببطء، مش مهم.. المهم إنه عدى، ولما حطيت دماغي على المخدة وكنت بفكر في صداع قوي مسيطر في قارة تانية بيقلق روحي.. عرفت بعد شوية أنا..

أحلامي التي تقذفني ككرة صغيرة من المطاط في كل الاتجاهات أصبحت أنت بطلها الأوحده.. دور البطولة الذي بقي شاغراً لفترة لانهاية أصبح الآن متحرراً ولم يعد صامتاً.. ذلك القلب الذي كان نقطة ضعفي، اللي ياما ودتني في داهية.. خرج عن صمته وأصبح يجالسني كصديق قديم.. يفند معايا حواديت، وربما يتابعني بشغف ورقة وأنا أضفر شعري المبلول على طرف السرير.. تلك الضفيرة التي أخفي بين طياتها خجلي وتورد وجنتي تحت وطأة تلك النظرات الحانية التي تضمني طوال الوقت من الجهات الأربع.. قلبي الذي أصبح يستشيرني ويحدثني ويخطط من أجلي ولأجلي استطاع بلمسة على وجنتي أن يمحو عن ذاكرتي فشلي وألمي وقلة الحيلة التي كانت تنام في جيب جاكيت الجينز الأزرق.. أضحك وأنا أفكر بأن كتابي الذي لا يعجبني الآن ويسبب التفكير فيه مغصاً؛ كان من المحتمل أن يودي بي إلى غرفة العناية المشددة لولا تلك النظرة وحة الطبطبة ومفتاح القفل اللي بيحك شفرة البهجة على الكنبه الحمراء الجلد الصبح كل يوم.. آه يا قلب

العشا آيس كريم

في الغالب نحن نبحث عن سبب منطقي لكتابة تدوينة.. عن سبب للبوح والكلام والفضفضة.. عن سبب قد يبدو من القوة ليستحق أن يُكتب ويُخلد ويجلس ويتربع على عرش السطور.. تغير إيجابي ما بالشكل الكافي لترتجف وتقرر أنك هنا تكتب وتحكي وتتصالح على نفسك مع نفسك.. تحيا وتموت وتعيش وتتلفس، فتكبر رثتك وتتخذ مساحة أكبر وحيزًا أوقع.. تتحدث عن أمور قد تبدو غاية في الجدية أو غاية في السخافة، لكن الشيء المشترك الأساسي أنها منطقية ومبررة ولها وقع موسيقي على أسفلت الشارع الساخن..

سيارتي الحمراء التي كنت أحبها فقط لأنها سيارتي الأولى.. الآن أصبحت جزءًا من صورة أقف أنا فيها، تسير بعجلاتها المترددة خجلاً، وقلة ثقة بقدمي التي تقفز بين الفرامل والبنزين طوال الوقت.. صوت المذياع.. زجاج السيارة.. قدرتي على الاصطفاف.. كلها أصبحت أمور منطقية وهادئة وربما محبة أيضًا..

الوحدة تسحب أجمل ما فينا.. تُغيّرنا لأشخاص بدون وزن ولا حيز.. فتسير بخفة مبالغ فيها كأنك شبح رمادي قليل الحيلة.. يأتيني صوت زهرة في الوقت المناسب، أنفوس وأبكي بصوت مخنوق.. أبكي لأنها بعيدة ولأنني بعيدة ولأن الطريق إلى المطار هو المكان الذي تستطيع سيارتي الحمراء الذهاب إليه بدون تردد.. البرد يخنق صوتي فأشعر بالهواء يدخل إلى جسدي من كل الاتجاهات.. نحن نهتز كسنابل القمح بفعل البرد.. كان البرد يتسلل إلى جسدي، يحتل المساحات الفارغة لأنه على يقين بأنه سيعود مرة جديدة ليمسك بروحي ويعتصرها بين يديه بكل ثقة.. أحاول أن أبتسم.. أردد الأغاني بشكل تلقائي لأبدو طبيعية ومستسلمة للجغرافيا والتاريخ وحتى لمادة التربية الوطنية لو لزم الأمر.. لكنني في الحقيقة لا أملك رفاهية الاستسلام مجددًا لأي شيء.. أصبحت بفعل التقادم وعوامل التعرية أكثر ضعفًا من محاولة الاستسلام..

قلبي الذي لم أعد أستطيع أن أصف حجمه يحاول أن يشنت تفكيري.. يقفز في المقعد الفارغ في السيارة ويربط حزام الأمان ويضحك.. (سوقي يا فالحة)، أنظر إليه باستغراب وأردد (مش وقتك خالص، اطلع من نافوخي دلوقتي).. ينظر من النافذة (لعلمك ده وقتي بالملي، وبعدين أنا مينفعش أصلاً أكون في نافوخذ).. لا ينطق.. يجلس وينظر من النافذة، يدعي أنه في إغفاءة، مرهق مني ومن الأيام التي تركض وهو يلهث خلفها.. أقف على جنب وأغمض عيني.. أمسك بمقود السيارة بقوة وأقاوم البكاء بجهد.. أقرر أن الآيس كريم الذي وعدتني به أو وعدتك أنا به ولم نأكله حان مواعده الآن.. فأنا أحتاج إلى كمية من السكر والطعم المحبب لأتغلب على كم المرارة الذي يتراقص في فمي بشماتة..

أنظر إلى ثلاجة الآيس كريم وأفكر في رحمة التي تتقاسم معي رشقات من كوب وحدتي صباحاً، فأحضر أنواعاً متعددة وأشكالاً مختلفة من الآيس كريم.. تفتح لي باب المنزل بابتسامة وتخبرني بأني في حاجة ماسة للنوم.. أتجاهل كلماتها وأناولها كيس الآيس كريم، تركض بفرحة طفلة.. تأكل هي وأتابعها أنا في بيجامتي البيج الشتوية التي تحضن روحي بقوة.. تسألني وهي تفتح باب البلكونة بجهد مضحك (هتتعشي إيه؟) أردد بتلقائية (ماليش نفس)، تنظر باستعلاء (مفيش عشا مفيش آيس كريم!)، أبتسم رغماً عني وأجيب.. (الليل طويل.. يمكن أرجع في كلامي، بس هاتي كباية ميه أبلع بيها حزني).

نامي يا مستورة

أنا رغاية وأبويا بيقول إني بعرف أحكي الحواديت حلو، بس الأخيرة دي تحديدًا، كوبي
بيست عن أمي اللي انتوا ماتعرفوهاش وبالتالي فاتكم كتير.. ماما سميرة هانم مبدعة في
الحكي المسرحي.. يعني غالبًا بتقوم بوصلة تقليد محترفة تجعلك تشعر بإنك عشت
الحدث في بث حي وعلى الهواء مباشرة..

- بت يا لينا..

- نعم يا ماما..

- اسمعي الحدوتة دي..

من كام يوم كنت نائمة وعلى الساعة ٣ صباحًا كده سمعت خير اللهم اجعله خير صوت
انفجار على صفارة إنذار على تكتكة قنبلة، كله على بعضه كده.. قلت يا لهوي! هما
الكوماندوز اقتحموا البيت وأعلنوا الاحتلال ولا إيه؟ ما هو أصلهم هما اللي فاضلين في
الميعة دي (بالمناسبة أمي مرجع أفلام أكشن ورعب وهندي كمان).. ركزت شوية لقيت
الصوت جاي من الحمام، قلت أما أصحي بابا، على ما يفوق ونبدأ عملية إخلاء البيت
بالذوق قبل ما ييجوا يشيلونا منه..

- بابا.. بابا..

- مممم..

- بابا، قوم فيه صوت حاجة غريبة، البيت هينفجر..

- نامي يا مستورة فش أشي (برغم إن بابا أصوله فلسطينية وعمره ما عاش هناك، إلا إنه
بيملك قدرة التطنيش ضد الكوارث اللي عند الفلسطينيين)..

وقمت يا بت يا لينا فتحت باب الحمام لقيت السخان بينفجر وبينزل ميه بتغلي على
الأرض..

جريت على الأوضة..

- بابا قوم البيت هيلع.. تفتكري أبوكي عمل إيه؟

ضحكت لأنني متخيلة..

- نامي يا مستورة، مفيش أشي..

جريت قفلت محابس الميه وقطعت الكهرباء، وقعدت أستنا النهار في السرير..

الساعة السابعة صباح يوم جمعة..

المكان بيتنا..

تسجيل المكالمة الأولى :

- الو.. عم علي..

- صباح الخير يا مدام سميرة.

- ممكن تيجي؟ عندنا مشكلة.

- أنا في البلد وهوصل بكره.

- طيب مع السلامة..

(سؤال يراودني: إيه اللي مصحيك ٧ صباحًا يا عم علي وانت في إجازة في بلدكم. مممم
،كنت بتعمل إيه؟ بتسمع غزوة المماليك؟ ما علينا).

تسجيل المكالمة الثانية:

- ألو.. صباح الخير.

- صباح النور.

- شنودة؟

- أيوة يا فندم، مين معايا؟

- أنا مدام سميرة.. جارة الباشمهندس عادل الله يرحمه..

- مين الباشمهندس عادل؟

- اللي ساكن في ١٥ شارع الشرطة.

- فين ده؟

- اللي في الشارع اللي آخره القسم.

- قسم إيه؟!

- قسم الزيتون.

- مين؟!

- طب شوف، انسى كل اللي قلتهولك، نبتدي المكالمة من الأول..

- ألو.. شنودة.

- أيوة يا فندم.. مين معايا؟

- أنا مواطنة..

- وعاوزة إيه يا مواطنة؟

- السخان بتاعي انفجر..

- غاز ولا كهربيا؟

- كهربيا.

- طب حضرتك لازمك واحد جديد..

- موجود.

- طب ساعة زمن وأكون عند حضرتك.. العنوان إيه بقى؟

وبعد المداولات والمشاورات واللجان المعتمدة وغير المعتمدة وصل شنودة ١٥ شارع
الشرطة..

- بت يا لينا تفتكري شنودة طويل؟

أنا بموت من الضحك..

- ربنا يزيد ويبارك طول الباب.. دخل معاه عيسى الحارس، وبعد ما لبس شبشب أبوكي
اللي بيعمل موسيقى التاب دانس؛ بدأ يركب السخان..

بابا بكل الأطة: هاتوا قهوة لشنودة.

وأملك يا بت يا لينا لمدة ٣ ساعات في وصلة عتاب لشنودة وهو بيشرّب قهوة بن حلو من بلاد برّه عن روح الفقيد السخان..

- كده يا شنودة تنسى المهندس عادل علشان اتوفى؟! (شنودة وعلامات الصدمة).

ولو نسيت أبو واصف افكر عيسى! (شنودة مستمتع بالقهوة).

هو كده اللي يتوفى يروح من بالكم؟! (شنوده سلم أمره لله).

هي الدنيا اتقل خيرها؟! (شنودة قرب يهاجر كندا يمكن يفهم حاجة).

طب كنت افكر العمارة! (شنودة قرر يعتزل مهنة السباكة).

أو الشارع! (شنودة.. بيتشاهد خلاص).

وبعد جلسة العتاب قرر بابا ينده.. ماما.. سميرة.

- شنودة مايعرفش الأستاذ عادل وماجاش هنا خالص..

- أومال أنا جبت نمرته منين؟!!

- أنا جبتها من عند الحاجة هند (عمتي) من سنتين كان بيصلح لها حمام..

(أمي تعاني من الصدمة والكلام تائه في حنجرتها وبيقع على هدومها، وهي بتفكر إنها من ٣ أيام فاتوا كانت بتفتي من البلكونة وبتساعد واصف يجيب حد يصلح الماسورة وبتقوله كلم شنودة صاحب بابا الله يرحمه).

بابا بيضحك بهستيريا وأنا بموت من الضحك..

شنودة فكري بشريحة كبيرة من الشعب المصري..

عم علي حزب الحرية والعدالة..

السخان الفلول..

أما ماما فكانت بتلعب دور جبهة الإنقاذ الوطني..

عيسى بقى كان بالظبط زي الأقليات اللي ملهاش صوت..

والمهندس عادل الله يرحمه مصر..

بابا الرئيس بس من غير إعلان دستوري..

أنا كنت عاملة زي قناة الجزيرة، بيث من كتر الضحك والهزتلة..

الخلاصة إن الحمام مقطوعة ميتة، ومحدث فاهم حاجة ولا عارف حاجة، والتواصل مقطوع والبيت هيلوع والسخان انفجر.. أرجوكم اعملوا زي أمي واقفلوا المحابس واقطعوا الكهرباء لا نموت كلنا.. لحد ما نلاقي شنودة ينقذنا.. لأن عم علي باعنا عند أول منعطف.

مسرحية هزلية في صورة بني آدم

القدرة على استثمار موهبتك في الغباء الفطري.. ببساطة هي دي الجملة اللي بفكر فيها كل يوم بشكل مستمر وزنان زي دبانة المطبخ لما بقابل أبو السولم.. سواقي من سنين طويلة جدًا.. راجل طيب وعظيم بس بيمتاز بموهبة مش سهلة، وهي توظيف الغباء للعكنة عليه.. وبرغم إنه مفروض يكون فقد الأمل تمامًا لأن جتتي نحست وبقيت بصله وهو بيشلني بكتير من الصبر وبمبردش.. بس أبدًا.. سالم ما بيذهقش.. وما بيتوقفش عن إبهاري.. بشكل مبالغ فيه..

مع سالم علي مش هتقدر تغمض عينيك..

النهارده وبعد ما كل أجهزة التلفزيون اللي في البيت تداعت زي الدومينو؛ قرر سالم يحن علينا ويجيب الراجل بتاع الدش يطلع السطوح ياخذ دوش في الشمس ويجيبنا أي قناة.. إن شاء الله أتيوبيا أو الهند (يا فرحتك يا رحمة إنتي وبالو) ما علينا.. وبعد محاولات وخبط ورزع، لدرجة إنني سمعت أصوات فضائية على كوكو السطوح.. وقلت عم أي تي بعظمه ووركه جه يظبط التظايط ويروق القناني.. نزل سالم أبو الهماهم.. بص لي وقال.. مفيش فايدة، المكيف محتاج تيرموستات..

حكيت عينيا وقلعت النضارة، قلت جايز يا بت بقيتي بتسمعي بعنيكي، بتحصل مش غلط.. هو الدش بيتركب له ترموستات؟!

ابتسم، وشوفت مجموعة حاجات المفروض إنها أسنان، وقال: دش إيه؟! إنتي مش قلتي المكيف هو اللي خربان؟!

رقت بالصوت الحياني.. وبعد ما رحمة ربنا يكرمها لحقتني بمية وسكر.. لقيت سالم يقول هجيب راجل الدش ماتزعليش.. بس عاوزين نصلح المكيف اللي باظ.. إيدك على ٢٠٠

ريال.. اديتهمله وأنا بدعي على نفسي..

نص ساعة ولقيت سالم طالع زي كينج كونج.. منتصر كده.. وجايب الراجل بتاع الدش..
قلت يا مسهل، ربنا هيفرجها وأدينا ضربنا كل العصافير بكل الحجارة وصلحنا المكيف
والتلفزيون.. فرحت كتير يا ختي؟! والنعمة ما لحقت أفرح! هي نص ساعة ولقيت الناصر
سالم الدين نازل.. عاوزين ٤٣٠ ريال..

وهنا.. أغمى عليا..

ليه يا سالم؟ ٢٣٠ ريموت كنترون.. والباقي تغيير سلوكه.. وبعد ترجمة الكلام ده اتضح إنه
فارسي مش عربي.. ما علينا..

دفعت تمن الريموت الكنترون أحسن يشيلوا العدة وأنا معنديش تلفون!

نزل سالم وصل الراجل وجالي.. جربتي التلفزيون؟! طبعا ولأني كنت مصدعة من حالة
الإغماء ماكنتش جربت حاجة.. قرئت القرآن كله.. وسميت.. وبخرت.. وعملت الرقية
الشرعية.. ومسكت الريموت كنترون بتاع سالم، وفتحت التلفزيون.. لقيت إيه؟! هو أنا
ماقولتش؟! يقطعني.. كل القنوات التركي الموجودة وغير الموجودة.. سالم حب يخدمني
علشان شافني مرة بنام على مسلسل فاطمة.. ١٧٠ قناة أردوغان.. والباقي أوكرانيا ورومانيا
والبرتغال وإيطاليا..

يا رب.. أنا عملت إيه في دنيتي؟! أسقط في يدي.. قعدت على الأرض.. وسيبت سالم
بيتوعد الراجل بتاع الدش إنه هيجيبه بكرة الصبح يكمل التصليح ومش هيديله فلوس
تاني..

سالم.... عوض عليا يا رب عوض الصابرين!

شعور إكسكلوسف

الحضن الاستثنائي الحصري.. ذلك الشعور الإكسكلوسف لك وحدك دون البشر.. هو مملكة بحد ذاتها.. اختزال كل البدايات وكل القصص التي لم ترو.. لحظة يكف فيها العالم عن الدوران وتسقط الأبدية وتتبعثر أرضًا عاجزة عن صياغة الحدث الأسطوري.. في حضرة تلك الأبهة الطاغية.. يقف القلب على أطراف أصابعه.. يختلس النظر ويتابع الروح وهي تذوب وتنتقل بين مراحل المادة الثلاث، من جامد إلى سائل إلى بخار.. في تلك اللحظة يصبح العالم.. حضنًا..

الشعور الطفولي الذي يلح عليك ويطالبك بأن تعيش اللحظة كما هي بدون محاولة لتكوين كاتم صوت لمشاعرك.. أن تنبهر بطفولة وتصبح عينك كأطباق فنجان القهوة، أو أن تضحك كتلك الشخصية الكرتونية الشهيرة، تلك الضحكة المسرعة الغربية، التي تنساب منها الألوان كقوس قزح على الأرض وتبهدل الموكيت.. أو أن تبكي بضعف وأنت تروي قصة قصيرة لم تُبكيك لحظة حدوثها، فيقوم من طرف السرير ليعطيك أجمل وأرق حضن في العالم..

الحب كما يجب أن يكون..

الأجنحة البيضاء الأسطورية التي لا نراها حتى في الحوادث أو الأفلام، بل تبقى أسيرة خيال واسع يشطح كل فترة والأخرى.. تتردد بالإفصاح أمام الجميع بأنك شخصية حالمة، وتنفي عن نفسك تهمة الرومانسية.. ترتدي بقايا ملابس راهب فقير وتسير حافي الأقدام في طريق الآلام ولا تُثمني نفسك بابتسامة بدون رصيد.. أو حتى طبطبة مع سبق الإصرار والترصد.. لأننا نهديك يومياً ابتسامة صفراء لها مغزى أو طبطبة من نوع التحرش.. لكنك تتمسك بأجنحة ورقية وتضعها في ملابسك وتُبقّيها معروقة برائحة جسدك الطري الطيب.. نعم.. رائحة الجسد قد تكون طيبة.. أو شريرة وغير محتملة.. تلك الرائحة الطيبة هي التي

تنتبت منها الأجنحة.. وهي التي تدفعك دفعًا لممارسة الطفولة بانفعالاتها كاملة مكتملة لا ينقصها شيء.. تلك الرائحة هي التي تدفعك للتفكير في الحزن.. للتشرد ليلاً والتوهان نهارًا.. تلك الرائحة التي تنبعث من مسامات روحك هي التي تجعل أناملك تتسحب من تحت البطانية وتبحث عنه هو فقط دون كل البشر والناس.. عن الرائحة الطيبة التي تجعل أشجار الكرز تزهر باللون البمبي وتسقط على فستان أبيض، أو تتساقط الأمطار في الوقت الذي يناسب مزاجك.. وربما تصبح زخات في شاور تدغدغ أعصابك المرهقة من شد وجذب الحياة.. فيغدو العالم مفصلاً خصيصًا من أجلك أنت وحدك.. الحزن والرائحة والأجنحة كلها دلالة على وجود ما.. وجود مبهر وقوي وساطع وحقيقي.. إنه الوجود الذي تختفي فيه كل مفردات الوحدة.. أستيقظ وأنظر إلى النافذة ومفتاح السيارة البنفسجي وأفكر.. دعني أقود إليك..

دير بالك ع حالك

أوقات كثيرة قوي..

غالبًا وبحكم العادة في أي مكالمة أو مقابلة حد بيقولك في الآخر.. خلي بالك من نفسك.. وممكن تكون انت اللي بتقول خلي بالك من نفسك.. لكن السؤال.. هو احنا فعلاً بنخلي بالننا من نفسنا؟ أو على نفسنا؟! طيب ازاى هتخلي بالك من حاجة انت مش عارف تشوفها أو تلمسها بإيدك أو حتى تفهمها؟!

نفسك هي الشيء اللي بيدفعك للعياط لمجرد التفكير في حاجة مؤلمة قد لا تعنيك بشكل شخصي.. هنا تقدر تعرف مثلاً إن نفسك مش بالضرورة تبقى بتخصك انت لوحدهك.. ممكن تكون نفسك مربوطة بشخص أو مكان أو زمان أو وضع أمني.. إذن الموضوع شبه خارج سيطرتك..

نفسك هي الشيء اللي ممكن يقوّمك الساعة ٣ صباحًا من عز النوم علشان تدور على شوكولاتة أو تعمل سندوتش حلاوة طحينية، لأنك متخيل إن نفسك المُلحّة مش هتصبر للصبح، ويمكن يجراك حاجة نفسيًا لو ما أكلتش ده دلوقتي.. وهي برضك اللي بتجبرك في موقف معين إنك تعبّر عن وجهة نظر ممكن تودي في ٦٠ داهية، أو تقول لحد إنك بتحبه خبط لزق كده وش ومن الآخر.. وهي برضك اللي بتدفعك للشعور بالملل في حضرة شخص مهم لأن مفيش ببساطة كامستري خالص.. إذن نفسك متقلبة ولحوحة ولا تملك إلا تنفيذ رغباتها بصبر..

نفسك هي الشيء اللي بيخليك واقف قصاد لوحه ومنبهر برغم إن عقلك وصحابك بيقولوك دي شخايبط ووحشة جدًا، لكنك مشدود لها ومش عارف ليه.. وهي نفس النفس اللي بتخليك تسمع غنوة أو تقرا جملة ١٠ مرات لأنها أثرت فيك بشكل انت نفسك مش فاهمه.. وهي اللي بتخلي صوت رشا رزق يعجبك وصوت حكيم يبقى مزعج في ودانك

جدًا، وهي نفسها اللي بتخليك تعيط لما تقرا لعمر طاهر وهو كاتب ساخر، وبتخليك عاوز
تسمع تتر مسلسل فيرتجو مرة كل خمس دقائق زي الحقن المسكنة.. نفسك اللي بتخليك
تخالف نفوس كتيرة تانية بدون سبب منطقي مقنع ليك أو ليهم.. ممكن تكون طفلة
شبطانه في حاجة عجاها هي لوحدها بس..

نفسك هي الشيء اللي بيخليك تحب مصر أكثر من إيطاليا وأسبانيا وتتنرفز من الزحمة
جدًا في شوارع مدينة جدة وتبقى واقف على كوبري أكتوبر لمدة ٣ ساعات ومش متضايق
ولا حاجة.. وهي نفسها اللي بتخليك هتموت من الحر وانت واقف في طابور السوبر
ماركت ومش طايق روحك، وبتخليك قاعد على البلاج مستمتع وانت بتشرميه في شرم
الشيخ مع إن الحر هناك قاتل وخانق، برغم إن كلاهما زحمة وكلاهما حر.. بس نفسك اللي
بتحب بتسكت وتهمد وتبطل زنّ.. بسذاجة لأنها بتختار وبتنفذ رغبة التواجد في مكان
يخصها..

نفسك هي اللي بتحدد إيه يخصصها وإيه ميخصصهاش، برغم إنك بتحاول كتير قوي تاخذها
من إيدها تدلها على السكة الصح.. وإيه اللي يخصصها ولازم تتدخل فيه وإيه اللي ببساطة
تبطل تتحشر فيه.. كلامك كله بيوقع في الأرض لأنها بتعمل اللي هي عاوزة تعمله.. مش اللي
انت عاوزها تعمله أو المفروض إنه يتعمل.. نفسي اللي مش عارفة أخلي بالي عليها لأسباب
كتيرة جدًا هي اللي خلتنى أكتب الكلام ده.. ومن غير دوشة كده كل واحد يروح يعرف
نفسه ويخلي باله منها.

البلكونة

فايقة بكير وما عم بقدر أرجع نام.. حتى بليل لما دخلت التخت حاولت كتير نام وما قدرت.. كل الأفكار إجت مثل شياطين صغار وقعدت على المخدة تمشطي شعراتي وتحكي قصص.. أنا اليوم ما بدي أسمع قصة قبل ما أنام، أنا بس بدي أنام.. كتير عم بشتقلك وما عم بحكي.. ويمكن بحكي بس مش لقلك.. ويمكن ما عم عبّر مزبوط وما عم تفهم إني عم بشتقلك طول الوقت.. بتعرف.. صرت أكره الوقت كتير لأنه بيمر ولأنك مش هون.. كتير بقنع حالي إنك دايمًا هون مطرح ما بحط إيدي على قلبي.. بس هي مش الحقيقة.. لأن قلوبنا صار فيها زحمة.. حتى لما بدنا نطلع حدا منها ما بيطلع ليحكي.. أو ليقول شي.. بيضل هونيك وبنضل نشتاقله وبنضل ما بنعرف نعبر أو نحكي..

أعاني من رغبة ملحة للكتابة.. تمنعني رواية شيرين هنائي من التفكير في محاولة خط سطر واحد.. أرى خيوطًا بيضاء تخرج من يدي وتصل واهية نحو جهاز اللاب توب.. الحنين.. والقلب.. والتشرد.. وقرارات مرسي.. واضطراب يهز مركبي من كل اتجاه.. أفتح اللاب وأنا أتمتم «طلعتي غلبانة يا شيرين وأقلهم تحكم، فها أنا أكتب.. أستجمع النوم تحت جفوني.. أفكر في مكالمة مطولة أحكي فيها رأيي بشكل شخصي لشيرين، وربما أضع زهرة كونفرنس كوول.. فهي صاحبة اقتراح أن نقرأ الرواية سويًا لنتناقشها نحن الثلاثة عندما ننتهي.. أعيش بجهاز نقال.. قلبي ينبض مع نبض البطارية ويتم شحنه في مكالمة هاتفية.. وربما تسقط البطارية ميتة في زمن قياسي عندما يحدثني أحدهم بجفاء أو يسمعي خبرًا ساذجًا.. فالأخبار هذه الأيام لا يمكن أن أصفها سوى بأنها ساذجة ومثيرة للغثيان والاشمئزاز.. الوقت يمضي وأنا لا أنام.. أمسك بزجاجة الدواء وأقرأ تاريخ صلاحيته، لماذا لا يعمل ذلك اللعين كما يجب ويسلمني للنوم؟! الوقت لا يتوقف عند مكالمة أو خبر ساذج أو خيوط بيضاء، أو رواية أرى أنها مهمة ببساطة لأنها شديدة الغرابة وتشبه كل ما نعاني منه هذه الأيام..

بعثية طفلة صغيرة تبحث عن قليل من الطمأنينة.. أنظر إلى وجه ديمة وأسألها «انتي حاسه إيه؟!» وأكرر السؤال على نور وزهرة وكل من يحادثني.. أبحث عن شعور بالأمان أخذته قرارات مرسي وألقته تحت أقدام شباب يركضون في محمد محمود.. وهدف ضبابي تحول إلى سحابة سوداء تنتشر فوق قلوبنا وتمنعنا من التفكير أو حتى محاولة استنشاق هواء به قليل من الأكسجين.. أرفض الاستسلام لليأس.. حلمي ينبض مع نبض قلبي.. وأنا غلبانة.. أبحث عن فرحة صغيرة وقليل من القرب..

نفسى أقف في بلكونة ساعة عصاري..

أقف وضهري لشيش الشباك الخشب القديم.. أشوف الشارع هادي ورايق من كل حاجة..

نسمة هوا تملى صدري وتبرد كباية الشاي الإزاز اللي مسكاها بإيدي..

أستناك وتتأخر.. وأحلف إني مش هسخن الغدا وأسيبك تاكله بارد عقابًا على ربع ساعة بحالها..

ولما تنزل من العربية وترفع عينيك على البلكونة.. أسامحك وأحط كباية الشاي وأجري أولع النار على الأكل..

نفسى ألمحك بتقرا كتاب في ركن بعيد قريب.. على كرسي خشب أنا اشتترتهولك.. أقول إنك مش بتقعد معايا خالص وإنك بتتجاهل وجودي.. ولما تقرر تصالحنى..

تقعدني جنبك في الكرسي الفاضي وأخرج أنا كتاب من ورا المخدة وأقعد جنبك أقرا في البلكونة..

نفسى الدنيا تمطر.. وأجري على البلكونة أشوف الناس وهي متكركة.. المية بتغسل روحهم وبيضحكوا.. واحد معاه شمسية لونها أزرق.. واحد حاطط الجرنان.. كل الأخبار الوحشة بتتغسل والحبر بيختفي.. الورق بيرجع أبيض ومفيش حاجة مش عاجبة حد..

طفل صغير بينط ومامته بتضحك وهي بتقوله إنه كده هيتبل.. ولد بيقرّب من بنت وفجأة
بيمشي معاها تحت شمسيتها الحمرا..

تحضني وتبوس راسي وانت بتقولي مش هتبطلي وقفة البلكونة دي؟ هتعيبي وانتي
صحتك ماتستحملش.. أبصلك بعثب وأقولك أنا صحتي بمب.. شوف نفسك انت الأول..
تحضني وأنا مش خايفة من إعلان دستوري مكمل ولا من قرارات مرسي تاخذك من
حضني.. أو تمنع نزول المطر.. ولا حتى تمنعنا أنا وزهرة من قراية رواية شيرين هنائي
«صندوق الدّمى».. أو ترمي حلمي تحت الرجلين في شارع محمد محمود.. أحضنك وأنا
باخذ نفس طويل من غير ريحة السحابة السوداء.. والوقت كله ملكي أنا وحدي وبلكونتي..

حبوب زرقاء للبحر

أحاول أن أجد حجة مقنعة وكبيرة وفخمة لأجلس وأتقوقع داخل روحي وأمنع نفسي عنها.. الكتابة لمن لم يمارس هذا الطقس السحري تجعلنا نكتشف أن لنا أشكالاً قابلة للتحويل والتغيير.. عندما لا أكتب فأنا أحافظ على ملامحي ثابتة بدون تحول، وفي اللحظة التي أمسك بها القلم أو أجلس خلف جهاز اللاب توب البمبي تبدأ ملامحي بالتلون.. أحاول منذ فترة أن أكتفي بالتحويلات القلبية الطقسية، وأن أحافظ على مناعتي بأخذ فايتمين سي.. أقرأ لعمر طاهر صباح كل يوم، وأقوم بالتعليق بمساحة تتجاوز السطرين أو كتابة ستيتاس لأضحك على روحي بقطعة من الحلوى والبوح.. أسكتها فلا تطالبني بالمزيد من الفضفضة وتفريغ الشحنة الفكرية..

لكن عبد الحليم حافظ يرفض الفكرة شكلاً وموضوعاً.. بدون مقدمات يحاصرني حليم هذه الأيام في كل مكان بدءاً بـ (ميل وحذف منديله كاتب على طرفه أجيله)، أنظر من النافذة بعيداً على بحر جدة الذي ينقصه الكثير من الشغف والإثارة ليرقى إلى المستوي المطلوب لكلمة بحر.. اللون الأزرق الذي يعانق السماء ويلقي بظله.. محاولة استثارة البحر الذي لا تصلح معه كل الحبوب الزرقاء الموجودة في العالم، فيبقى متمسكاً بوقاره وحشمته ولامبالاته.. أبتسم لتلك الفكرة وببراءة يداعبني حليم (تاني تاني هنروح للحب تاني.. والنار والعذاب من تاني.. تاني تاني تاني، هنروح للحيرة تاني، ونضيع ونجري ورا الأمانى).. أغضب من نفسي وأنا أفكر.. حليم الذي أحبه ساهم في تشويه شكل الحب وجعله مرتبباً ارتباطاً شرطياً بالحيرة والعذاب والألم.. فكيف لمشاعر هي الأقوى في تاريخ البشرية أن تكون ناراً وعذاباً؟ أغضب وأقرر أن غياب القمر والسهرة وآهات الألم وليالي الندم ما هي إلا كلمات قوية تناسب حليم، الذي دائماً ما كان يرجع وحيداً من رحلة علاج..

تتقلص معدتي.. أو ما تبقى منها، وأضع رأسي على زجاج السيارة.. أتابع الظلمة تلف الكون برداء كحلي كساحر قديم في فيلم أمريكي.. كل الأعيبه مكشوفة.. فالوحدة لا تُزعج ولا العلاج.. أبتسم وأغني مع حلیم (أمانة يا دنيا أمانة، تاخذينا للفرحة أمانة، وتخلي الحزن بعيد عنا، وتقولي للحب استنى)..

أفكر فيك طوال الوقت.. وأقرر أن أبتسم عندما تخاطب أفكاري، فربما تطير تلك الابتسامة وتصل إليك بطريقة ما.. وإن لم يحدث فربما يقرر أن يتركني حلیم وحيدة، ويكف عن ممارسة ضغوطه الفكرية والعاطفية.. لكن ابتسامتي لا تصلك، وتصلك عوضاً عنها ضحكتي التي تجلجل، وحلیم لا يكف عن الأعيبه الصبانية ..

(كل حاجة فكرت فيها في لحظة واحدة ردت عليها بنظرة واحدة من عينيها.. الأمان في عينيها حسيت إني عدت للأمان في عينيها والحنان، خد مني وادّفى يالي محروم مالحنان).. عندما يسألك أحدهم هل يقف عمرك على شخص ما.. هل يتحول الكون كله أداة لتسخير رغباتك.. يكفي أن تبتسم في وجهه وتخبره أن أناساً تفنى لأجل فكرة أو كلمة.. فهل نقف نحن بجهل وندعي أننا نعلم عن المشاعر أكثر من المفروض، وأنت لا تستطيع أن تُضَيِّع عمرك لأجل شخص ما في مكان ما يقوم بوظيفة كونية ما؟ العمر بمنطقهم المبرر لا يُعَوِّض.. بثقة تخبرهم بأن الشخص لا يُعَوِّض.. قد لا يكون مناسباً لغيرك أو استثنائياً، لكنك تنظر إلى ملامحه بدقة وتحمد الله الذي أحبك بالقدر الكافي ليأخذ وقتاً ويصنع لك شخصاً على مقاس روحك.. وليُكمل نعمته على نفسك الهائلة فيرسله إلى نطاق عالمك وحيّز وجودك.. فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

ولا تخبرني كما يردد حلیم (شوف بقينا فين يا قلبي وهي راحت فين؟ شوف خديتنا لفين يا قلبي وشوف سبيتنا فين؟ في سكة زمان راجعين في نفس المكان ضايعين) تلك حقيقة حلیمية.. نحن لا نعود زي زمان.. نتغير بتغير التجارب، ويترك الأشخاص بصماتهم على عمرنا وأرواحنا.. تلك البصمات لا تغسلها مياة بحر جدة أو أي بحر آخر.. حلیم فقط يحاول استفزازي..

أخرج من السيارة وأقف أمام الماء الأبيض الذي يصطدم بصخور صغيرة ضعيفة لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، فتبقى محلك سر مستسلمة لواقع أكبر منها.. أستسلم أنا الأخرى لمشاعري.. أضم عباأتي وأحكم إغلاقها حول خاصرتي.. مداعبات هوائية بسيطة قادرة على إيلامي لأقصى درجة.. أجلس على الرصيف غير عابئة بنظرات الاستنكار.. في جدة فتاة وحيدة تجلس على شاطئ البحر.. منظر يدعو للاستنكار وربما آلاف من الأسئلة المبتورة الإجابة مسبقاً.. أتذكر عبد المجيد ونجوى (من مقالات بيرما لعمر طاهر) أفكر أن أسأله غداً إن كانت نجوى شخصية حقيقية، فواجبك تجاه عبد المجيد أن تنقذه من أنياب الأسد المفترس.. لكني أكنم ضحكة مجلجلة وأردد يالا أهو قدره بقي..

أعود الجلوس في السيارة التي تنطلق مسرعة، وأرسل إليك ابتسامة زرقاء بلون البحر.. أتذكر صديقي الذي يفرح الآن فرحة محاطة بالكثير من الدعوات، وأتمنى له سعادة مكتملة كقمر ١٤.. أقاوم وبشدة رغبة ملحة بتناول الأدوية المسكنة، وأبتسم لصورة في خيالي وأغني بصوت (عيني يا عيني يا عيني.. عيني عليك كل القلوب بتدوب.. بتدوب حواليك يا عيني.. أما أنا.. وحدي أنا بشوفك بس بعيون غير عيون الناس.. وأحبك بكل ما في القلب من إحساس.. بشوف الفرحة متداري ورا الضحكة اللي في عينكي، وبسمع في رنين صوتك شجن مالي ليايك.. ويا ريت اللي كتير وشفوكي كانوا ياخدوا عنيه يشوفكي، كانوا بقلبوهم حبوكي، زي ما حبيتك أنا وقلبي..

مصر.. انتي فين بقى؟!

الخيال الذي أصبح مهلهلاً والأحلام التي قمت بترقيعها آلاف المرات لم تعد تستر روعي العارية.. الدم والقتل والإرهاب وأصوات الرصاص، وتلك الأعداد لأفراد أصبحوا مجرد رقم على شريط أخبار نهاري.. أضحك وأنا أبكي وأفكر بأن لعبة (كول أوف ديوتي) التي لم أبرع بها يوماً أصبحت حقيقة، وأن البلاي ستيشن الآن واقع خارج حيز الافتراض.. قد ينظر إليك أحد المتفائلين وهم كثر ليخبرك بأن الواقع يتغير وأن التاريخ هو الشاهد الوحيد على انتصار العدل والحق والخير.. لكن روحك التي شاخت قبل الأوان ومزقتها الثورات والانقلابات والظلم والوجع والقهر والحزن والحنق والغضب وقلة الحيلة.. روحك التي تقبع بداخلها المحاكمات التي لم تكتمل ورائحة الغاز وقنابل المولتوف والأشلاء والجثث المحترقة.. كيف لها أن تعود تاريخياً إلى الوراء، و تدّعي أنها ستنتصر يوماً ما؟!!

إنه الشعور العميق المرّ بأنك لن تعود كما كنت.. لن تنظر إلى الشوارع والمباني والعمائر وتدمع عينك لرؤية النيل الرمادي.. رائحة السحابة السوداء اختفت لتحل مكانها سماء سوداء برائحة المولتوف.. الحلم الذي ارتبط بالبراءة سُحبت منه تمامًا ولم يعد لها مكان حتى في خيالات الأطفال.. أجلس على الرصيف وأفكر.. والدي الذي أعشق رائحته وكلماته لطالما قال بأننا جيل بائس لأننا لم نكن جزءاً من كل تلك الأشياء الجميلة التي يقشع لها البدن.. فكرة أن تشتري عجلة وتنام بقربها حتى ساعات الصباح الأولى.. صحن الكحك والغريبة الذي ينزل ويطلع ويلف ويدور على آلاف المنازل والبيوت.. الضحكات الطالعة من القلب في الليل يعد أن يخلد جهاز التلفاز القديم لنوم عميق.. خرفشة الراديو الترانزستور وكنكة القهوة على السبرتاية.. حفلة السيدة أم كلثوم أول يوم خميس في الشهر وأفلام حلیم.. سندوتشات السجق، سينما الحمراء، ورونق الميرلاند، والكثير الكثير من الذكريات التي لا تنتهي.. لم أحزن يوماً وكنت أرى أننا جيل سر شوييس وفيلم حتى لا يطير الدخان ومسرحية الواد سيد الشغال وشوكولاتة كورونا ولبان بمبم.. أمسح دمعة وأنا أفكر في

أطفال هذه الأيام.. رائحة القنابل المسيلة للدموع، صور الجثث، أصوات الطلقات وقنابل المولوتوف، اعتصام رابعة والنهضة.. التحرير ومرسي وقيادات الإخوان.. المحاكمات التي لم تتم والمجلس العسكري ورنه موبايل بنغمة (يسقط يسقط حكم العسكر)..

الطفولة التي وأدتها الأيام وماتت ولا يُقبل فيها العزاء..

أفتح صفحتي على الفيسبوك وأتابع الأصدقاء وهم يشتبكون بالأيدي ويعلنون العداوة أحدهم ضد الآخر.. كل منهم يشكك في وطنية الآخر ويمزقة ليلقي أشلاءه وتلوكها الأفواة الغربية.. يعريه ولا يأبه.. لا يممسك الهاتف المحمول ليعلن له ببساطة جملة (أنا عاوز أشوفك ونقعد نتكلم)، لغة الحوار انقطعت في زمن الحوارات الافتراضية.. أبكي أصدقائي المتوفين دون شهادة حياة.. وغرباء لا أعلم عنهم شيئًا ماتوا لأن أحدًا لم يقرر أن يتحاور بالشكل المناسب أو يحاول أن يجد ألف حل، وعندما تُنقذ تلك الحلول يحاول أن يجد ألفًا أخرى قبل أن يُزهق روحًا يملكها بارئها..

أبكي نفسي ومصر وأصحابي وعالمًا لا يبدو أنه يأبه للموت وقدسيته أو الروح وجلالها وقيمتها..

أعلم أن أصدقائي المختلفين في الرأي هم أكثر مني حلمًا وتمسكًا بالحلم.. أناس رفضوا أن يستسلموا لمنظر الجثث وأصروا أنها مرحلة تعزيل وتنفيذ للبلد، وأن المرحلة القادمة براءة لامعة.. لكنني أعترف.. أنا أضعف من أن أقتل نملة.. ربما أخذها إلى الحديقة لتعيش وسط النمل، لكنني لن أراها تموت.. والبشر ليسوا حشرات أو غبارًا وقطعًا من الأثاث يمكن أن نلقيها لبائع الروبوكيا..

لمن لا يعلم جيدًا، أنا مصرية الهوى والأم وفلسطينية الأب.. بعد كل من زهقت أرواحهم لأجل القضية الفلسطينية ولا زالت تُزهق لحظة كتابتي تلك الكلمات؛ يعزّ على قلبي المحمل بعدد غير حصري من الشهداء أن يحتمل شهداء جدًّا وأن يرى دمًا مصريًا يروي أرضًا

مصرية بأيدي مصرية.. تقتلني تلك الفكرة وأنا على قيد الحياة، وتقتلني وأنا أعترف بأنني
لم أعد على قيد الحلم.

حساب الكالوري للثورة

نحن لا نرى الأشياء كما هي، لا ننظر إلى علبة الشوكولاتة التي تقبع داخل دولا ب الألفام الموجود بجوار الثلاجة على أنها مجرد علبة شوكولاتة، هي قد تبدو رفيق ليلة طويلة من الأرق وتغير الهرمونات وتقلب الاحتمالات غير المفهومة، وقد تتحول إلى قنبلة من الكالوري والأرقام التي تتصاعد بلا مبالاة على الميزان السخيف الذي ينظر إليك في الحمام كل يوم متحدثاً إياك أن تقف عليه بثبات..

الشوكولاتة تتحول في لحظة من عدو إلى صديق والعكس، وكعادة البشر نستسلم لتغير الأيام والأشياء والأشخاص، نهمد ونستكين على الأريكة ليلاً وننظر بثقه لهذا الجديد الذي ظهر في ثوب قديم ونتعارف عليه.. نلعن التغيير ونتغير لأجله بسرعة البرق.. تناقض الطبيعة الإنسانية..

جلست إحداهن بجواري في الطائرة، نظرت إلى وجهي وقالت: لا تهتمي بشكل موقفك أو مدى صوابه من عدمه، المهم هو ثباتك على هذا الموقف طوال الوقت..

أحببتك لأعلم أنني سأثبت على موقفي وأني لن أهتم بعدد الكالوري، أو بتغير وزني وشكل علبة الشوكولاتة، أحببتك ولا أعلم تحديداً أين، أو كيف، أو متى؟ ولا أملك إجابة سؤال واحد..

أجلس أمام التلفاز وألقي ما تحويه روعي من غضب عارم عن خارطة طريق ضبابية، وواقع مجهول الهوية، ومستقبل أسود حالك شديد المرارة، أقف وأصرخ بمحاضرة عن حكم فاسد ورئيس مرهق مهلهل لا يصلح لستر عورة قرية، وثورة في غرفة عناية مركزة في مستشفى الدمرداش حيث يفقد الطفل طفولته وأدميته ويتحول إلى كهل ينتظر سرنجة نظيفة..

أثور، أرسل إليك رسالة نصية (هتروح امتي؟)، أنتظر إجابة، وكأنني أنتظرك، أحاول أن أدعي زورًا أنني سأحظى بشرف استقبالك، وأن صوت المفتاح يدور الآن في الباب.. وأني سأصبح أكثر هدوءًا ورقة، وأن الثورة مستمرة، وأن الفاسدين سيسقط عنهم قناع الطرف الثالث، والأيدي الخفية ستكسر، وأن القلة المندسة سيزداد وزنها بفعل الشوكولاتة، وستظهر لتختفي، وترتاح أنت من نقاشات طويلة مفادها أنني أثور لأجلك في وجهك.. وأن الحب والهرمونات والغيرة والوحدة كلها أسباب منطقية للتغيير..

أقرأ كتابًا عن موجز تاريخ الجنون، وأستمع بالسنجة (لأحمد خالد توفيق)، أنام ليلاً وأحلم بأن القطط تتحدث وأني مطاردة في كل الأرض، أفكر أن أستعرض عضلاتي وأمارس المشي على سطح الماء والطيران في الهواء، أغيب القطط وكل من حاول أن يطارطني يومًا لأغير موقفي، أفكر بأني لم أر سنجة يومًا ما، وأن آخر ما توصلت إليه معلوماتي في الأسلحة البيضاء هي (مطوة قرن غزال) احتفظت بها يومًا في جيبتي لأثبت بأني بلطجية وقادرة على درء المعاكسات.. الآن في زمن فيديوهات التحرش أنا أحمل المناديل المعطرة في حقيبتي، وأملك حنجرة لا تقوى على الصراخ..

أشعر بأني أحتاج لخلع الشبشب وضرب شاشة التلفاز، الرئيس يلقي خطابًا يحتاج إلى تغيير من نوع ما، ربما تلك الضربة تساهم في تعديل الوضع المشوش وتغيير التغيير إلى ما هو أكثر حلاوة وربما منطقية وحادثة..

أحب التغيير لأجلك وأقف في وجه قلبي موقفًا واضحًا وغير قابل للحياذ، إنه النوع الثابت الذي يتحدث تلقائيًا، ولا ينتظر زيادة وزن لإظهاره على حقيقته بوضوح، الهرمونات التي تنصاعد بفعل الغيرة وتجعلني أشفق عليك من السنجة أو المطوة التي تباغتك على غفلة لتقوم بتقطيعك، أنت لا تحتاج إلى جبهة إنقاذ وطني أو حوار مفتوح، بكل الجنون المفصل والبعيد عن أي إيجاز أو اختصار، أعلم أنك رئيس روعي المنتخب والوحيد القادر على الخروج بي من الأزمة الحالية، وأي أزمات أخرى قد تلوح يومًا ما في أفق عمري، أعترف

لك الآن في لحظة ثبات انفعالي بأنك التغيير الوحيد المحبب هذه الأيام إلى قلبي، وأنت
كل أسباب بقاء الثورة مستمرة..

جيش من الدباديب

سؤال يخطر ببال الكثيرين.. لماذا نلجأ إلى النوم عندما نشعر بالحزن والكآبة؟!

كأي طفل يرفض أن يكبر نعتقد اعتقادًا خاطئًا بأن الحزن سيتبخّر كأى مادة كحولية طيارة مجرد ما أن نُغمض عيوننا ونستسلم لنوم طويل عميق مليء بكوابيس لا تنتهي..

الحقيقة هي أنك تستلم لحالة النوم المرضي كما أطلق أنا عليها بهدف الاختباء.. الحزن والغضب يتم تخزينه في فايلات بعقلك.. يقوم عامل الأرشيف بوضعه بتميّز منقطع النظير في روحك، وهنا لا يختفي بل يبقى ويُدون ويتأرخ للأبد..

سيسألني أحد.. وهل يبقى كل الحزن والألم عالقًا بالذاكرة؟!

تختفي المواقف.. لأنك تتعرض لأخرى طازجة (فريش)، وبالتالي عامل الأرشيف الغلبان يتخلص من الأقدم فالأقدم، وهكذا.. لكن ما لا يغادرك إلى عالم النسيان أبدًا هو الشعور ذاته.. لو تكرر الموقف أو تشابهه تجتاحك أمواج الألم لتنهش في أحشائك بلا رحمة، وتترك جسدك خائرًا تمامًا.. لا تقوى على الوقوف على أقدامك التي سقطت من ثقل الذكرى والحزن المضروب في مليون..

لم أكن تلك الطفلة التي تقتني عروسة أو تلعب في دبدوب.. لم تستهوني الأفكار البنائيتي، وكنت من أنصار الرسم والتلوين واللعب بالسيارات، وربما الكرة لو لزم الأمر..

أنا الآن أقتني عددًا لا بأس به من الدباديب.. أضمت أحدها إلى صدري ليلاً.. أضعه على قلبي مباشرة وأسد تلك الثغره التي لا يعلم عنها الكثيرون، والتي تدخل منها الأحزان والجروح لتمارس معي لعبة الغواية في الظلام.. لا أهتم بأن أحضن نفس الدبدوب كل ليلة.. اليوم أحضن خرشوف وغدًا ميني وبعد غد الفيلة فلفلة.. لا أبدي أحدهم على الآخر.. لكن عندما

أسقط فريسة لقسوة الأيام وتنهشني يد الحزن لتستبد بجسدي الذي لا يقوى على المقاومة.. أحضر كل دبايبي ليلاً.. أنظر إليهم بعينين منتفختين وشفاه كالحة وصدر لا يهدأ عن التنفس، كعربة ١٢٨ بيضاء قديمة مهترئة وموتورها في حالة مزرية.. تتابعني الأعين الصغيرة المصنوعة من البلاستيك وتفهم المهمة المنوطة بها..

جيش من الدبايبي لسد ثغرات روعي التي أصبحت كمصفي المطبخ.. تسرب من كل الاتجاهات وتنزف بدون توقف..

كيتي الكبيرة تحيط رأسي بحنان.. وعن يميني وشمالي تنام ميني وفلقة.. يجلس خرشوف بجوار قدمي ليحدثني بقصص لا أفهم معناها.. نمور البرتقالي يجلس بجوار معدتي التي تتألم بصوت مرتفع وتمارس كل أنواع الصراخ المشروع وغير المشروع، يضع يده البرتقالية على جراح جسدي ويبيكي سرًا.. أشعر بدموعه تبلل بيجامتي ولا أنطق.. أتكور على ذاتي وأتمسك بقوة بمخدتي البقرة الصغيرة التي سافرت معي وصاحبتي في كل أوقاتي.. أشم فيها رائحة الوحدة ودموعي الملحية التي تيبست على أطرافها.. يصرخ خرشوف بصوت مرتفع (كلمي حد من صحابك).. ينظر إليه نمور بعجب.. يسكت بعد أن يعلم جيدًا أن لا أصحاب لي سواهم..

أعصر عيني لتتوقف عن البكاء، كأنها تبكي لا إرادياً لتزيد من اضطرابي.. أفكر بأني سأكتب في وصيتي.. عندما أموت أتمنى أن توزع دبايبي على أطفال أيتام بين سن الخامسة والثامنة، وسأكتب ورقة لترافق كل الدبايبي..

(أعلم أنك تعاني من الوحدة طوال الوقت.. وأنت تشعر بأنك بره الدنيا.. وأنت تفكر بأني قطعة من القماش، أو ربما على أقصى تقدير دبوب صغير غبي لا قيمة لي.. الحقيقة أنا جندي صغير.. سأقوم بسد الثغرة النونو في روحك ليلاً وسأقوم بأداء مهمتي على أكمل وجه.. كل المطلوب أن تضمني بقوة إلى قلبك وتنام لتتركني أعمل على حراستك طوال الليل).

جيش الدباديب العظيم.. أنتمي إليكم بكل فخر.. أنتم كل الرفقة والأصدقاء.. أشركم من كل قلبي الضعيف.. وأشعر بالامتنان لكل تلك الأيدي الصوفية والقطنية الصغيرة.. كتر خيركم.. لينا.

أنا والجبس ورأفت الهجان!

حدّثني عن تلك الأمور التي لا يراها غيرنا.. عن ابتسامه ومسحة حزن تتبعها ضحكة قد لا تكون من القلب أو صافية بنسبة مائة في المائة، لكنها تبقى جميلة ورنانة.. فرحة أصيلة لم تكن يوماً محدثة نعمة أو صاحبة عهد جديد بالسعادة..

اغمز لنفسك بأني لا أراك كما يجب أو لا أفهم المنحنيات والزوايا والمربعات والمكعبات لأنني لم أكن يوماً طالبة مجتهدة في حصة الحساب، ولم أنتبه بقوه لشرح علم الإحصاء وعلوم الجبر.. حتى قواعد اللغة العربية التي تلتصق بي كتهمة لا تغادر أوراقي الثبوتية عندما تنظر إلى الفيش والتشبيه لأي من نصوصي.. أنا الفتاة التي تُحطم القواعد وتخرج عن المألوف وتلون خارج الرسم وتكتب بخط مائل على الورق الأبيض..

أرتدي فستاناً قصيراً وأخفي الجبس في بنطلون تحت الفستان، أرسل خصلات شعري للخلف في حركة لا تتطلب المجهود.. أحمل العصا بيد وأقفز في الهواء على البقية الباقية من قدم سليمة تشكو حمل قدم وجبس وأربطة ورأس لفتاة شقية مجنونة لا تستسلم للجلوس في السرير.. أسير محملة بأحلام طفلة وخطوات عجوز وثقل إضافي..

تحدّثني زهرة بسابقة قديمة لقدم لفت على عيادات الأظبة كعب داير، تغضب عندما أصرّ بأني لا أحتمل البقاء ساكنة أكثر من ساعة، مهما حاولت أن أختفي في رواية هشام مطر (اختفاء)، أو أن أبحث عن (موجز لتاريخ جنون)، تاريخي أنا مع الجنون قديم أعتز به، ولم أحاول أن أبحث له عن علاج لأنه ببساطة قمة التعقل.. أشعر بالملل الشديد وأحاول أن أبحث في دفاتري القديمة كأني يهودي أوشك على الإفلاس، أخرج رأفت الهجان بالأجزاء الثلاثة وأتابعها بشغف وأنا أتناول الشاي بلبن والبسكوت في السرير مع زينة وميدو، هاتف في رأسي ينبهني بأن البسكويت سيجلب النمل الذي اعتبره أنا جهاز الموساد عند الحشرات، ولكنني أترك ميدو يمارس شقاوته ولا أتحدث، أنقض بكامل فمي على معدته

الصغيرة وأبدأ بأكلها (وان هندريد سكوبيز) كما كان يصيح من الضحك معتقدًا أنه علبة كبيرة من آيس كريم الفانيليا، والحقيقة أنني أراه متعدد النكهات، يودعني بقبلة وكلمة (لف يو)، وأجلس أنا ومحسن ممتاز لنفكر في الخوف الذي يسيطر على رأفت، وجملة (أنا عاوز أشوف شريفة) التي أراها بوضوح دليلاً على التوتر والارتباك والحاجة الملحة للعب مع ميدو أو تناول الشاي بلبن..

أردد.. أنا كمان (عاوزه أشوف شريفة).. أشتاق إليك بقسوة وحزن وخليط من الإحباط والأمل، يتحدثون طوال الوقت أن الخوف المسيطر هو دليل بأنك مقدم على النجاح، وأنا أرى أن الخوف عائق، الخوف جبس في القدم اليمين يمنعك من الحركة والرقص والركض وتناول الحياة صيفًا، أخاف برغم العشوائية والفضول والمغامرة أن أنتظر حلمي فلا ينضج، لأن أنبوبة البوتجاز خلصت ولم أجد لها بديلاً، أو لأن ضحكك اهترأت ذات صباح من كثرة الاستعمال، أو لأن طعم الشاي بلبن اختلف، وربما لأن رأفت الهجان قرر أنه لا يصلح لتلك المهمة وأنه لن يذهب إلى إسرائيل، ولن يتجسس لصالح مصر، وعندما يقول محسن ممتاز: مصر أمانة بين إيديك يا رأفت، لن يرد عليه بجملة (وأنا رقبتي سداة)، بل سيقول باستهزاء (وأنا مال أمي، ابقوا خلوا المرشد ينفعكم)، ولن يبحث عن شريفة، بل سيقبل إستر بولنسكي قبلة طويلة على ضفاف نهر النيل وهو يلعبها بالحبوبة إستر..

أجلس أمام شاشة اللاب توب، فيخبرني أحد الأصدقاء أن عمنا سيد حجاب قال بأن فترة المرض والبقاء في الفراش جعلت منه شاعرًا بنكهة حريفة، أخبرني أن الجبس هو بداية قوية لروايتي، أبتسم لتلك الكلمات المشجعة، لكنني عندما أقرأ نصي هذا الآن وأنظر إلى قدمي أعلم تمامًا.. أن الجبس لم يكن سوى مرحلة انتقالية جديدة من عشقي لك، وجنون مضاعف يتطور وينتشر سريعًا..

كولونيا أبو علي

أن تكون مدانًا أمام نفسك.. أن تُمسك قلبك متلبسًا بفعل فاضح على الطريق العام.. أحدثكم عن قلب من ذوي الاحتياجات الخاصة، وأنا لا أقصد أنني بقلب معاق ذهنيًا أو جسديًا، وربما كنت أقصد المدعو قلبي الذي يحتاج حبيبًا خاصًا جدًّا ومحددًا ومعروف الهوية والشكل والعنوان والرائحة وبصمة الضحكة أيضًا.. إن تدوينتي هذه لا تتحدث عن الحب بالمناسبة.. هي تتحدث عن رائحة الحب التي لا يميزها سوى قلب شديد الحساسية مرهف السمع..

لم يكن ينتظر فتاة.. أراد أن يحصل على رجل صغير بشنب وبامبرز.. بدوي صغير يرعى الأغنام ويحافظ على العادات الفلسطينية الأردنية.. رجل يستطيع أن يأخذه في مجالس الكبار ليستمتع إلى تقسيمات الأراضي ويتحدث عن العائلة التي غادرت نابلس واستوطنت الأردن وأصبحت أكبر عائلاتها على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي والفكري.. لكنها كانت فتاة شحبت بفعل عملية ولادة شاقة ومهلكة.. فالأم التي حزنت لوفاة والدها لم تحتمل ثقل اليتيم المفاجئ والحمل.. فوضعت فتاة زرقاء بلون البرد وخرجت منهكة من عملية ولادة هي بالأساس مجهود لا يحتمل..

طفولة أتراقص فيها بين ولد أرادته أبي وفتاة أردتها أنا.. أخجل أن أنظر إلى عينيه لأخبره بأني لا أستطيع أن أقوم بتصليح التلفاز أو تركيب جهاز كهربائي معقد.. أقفز بحماس لأفتح التدفئة وأقوم بتصليح البويلارات وأتسلق إلى السطح والثلج يغطي مدينة عمان لأفتح المزراب حتى لا تتسرب المياه إلى داخل المنزل.. أبحث عن طريقة مبتكرة لأبعد الثلج عن السيارة المرسيديس موديل التسعينات، فيصل أبي إلى العمل وأتهاوى أنا كخرقة مبللة على مقعد بجوار مكتب المدير العام الذي تزينه يافطة تحمل اسم أبي وكنيته.. فتاة ذات أربعة عشر ربيعًا تجفف ملابسها في مكتب الملكية الأردنية الموجود في منطقة العبدلي بعمان، لتعود بعدها في رحلة ثلاث ساعات شاقة، أقوم بإزاحة الثلج المتراكم، فأصل إلى المنزل

مجددًا خرقة بالية.. رائحة الثلج والشتاء وابتسامة أبي المحملة بالرضا بأني أفضل من ذلك الولد الذي لم يكن ليقف أمام الطبيعة لينول رضاه، لأنه أراد بكل بساطة أن يذهب إلى المكتب والدنيا عم بتلج..

.....

لينا..... أقفز بعد أن أخفي رواية نجيب محفوظ التي أضعها في كتاب الأحياء تحت السرير..

تتعشي معي؟! أرد بالإيجاب، وأقفز صاعدةً درجات السلم..

شو بدنا ناكل؟! تاكلي بيض الصبر؟!

أتحمس وأبدأ بإعداد المقلي والبيض والملح والفلفل وأضعه على الدفاية التي تعمل بالغاز، وأجلس على الأرض لأنتظر ساعة وربما أكثر.. ينتهي البيض والخبز الذي تم تسخينه على الدفاية ذاتها، ونبدأ بالأكل.. وربما تنضم ديمة لتأخذ قطعة خبز فقط.. ماما قد تتناول لقمة أو اثنتين.. ويبقى محمد وزينة بسندويتشات الشوكولاتة النوتيللا أو الجبنة «الكشكوان» بعيدًا عن تلك الطقوس الغريبة..

تضع أمي الدجاج على الطاولة وتبدأ بعملية التقسيم.. ديمة وزينة ومحمد وماما يأكلون صدر الدجاج.. وينظر أبي ويقول الفخدة أحسن، أنا ولينا بنأكل فخدة.. أغرقها بملوخية أمي وأبتسم باستمتاع وأوافقه أن الفخدة أطرى وأطعم مليون مرة..

الجمعة صباحًا وبابا يقرر أن يُغيّر طقوس البيض بزيت المعهودة.. يسألني تاكلي معي (خميسة)؟!

تصيح ماما باستنكار.. يا بابا فيه بالدنيا أكلة اسمها (خميسة)؟!

يحضر أبي صحنًا كبيرًا ويضع فيه الحليب الساخن وقطع الخبز وقليل من السكر وقطعة زبدة معتبرة.. أحضر الملعقة وأشاركه الأكل باستمتاع.. أحدث أُمي بأن الخميرة هي الكورن فليكس قديمًا وأدافع عنها بحماس.. ينظر أبي إلى وجهي سعيدًا ويقول: قولي بس يا أم الأمين (اسمي الحركي)..

أعترف بأني لا أطيق ساعة ونصف لأنتظر مقلي البيض.. ولا أحب الفخدة أبدًا وأفضل صدر الدجاجة مليون مرة.. وأن الزبدة الموجودة فوق الخميرة كانت تؤلم معدتي.. وأني من عشاق الجبنة بكل أنواعها.. وأن الشوكولاتة النوتيلا هي حبي الأول والأخير.. لكن مشاركة بابا وتلك الرائحة، رائحة الرضا والسعادة..

.....

بابا.. انت بتشرب الكولونيا شرب.. نضحك على ماما وهي تتحدث عن موضوع الكولونيا كل يوم صباحًا..

يخرج والدي من الحمام ويجلس..

تأتي صينية الإفطار.. قطعة خبز وقليل من الزيت.. قطعة جبنة صغيرة أو ملعقة لبنة.. كوب شاي.. ونصف كوب ماء..

أبي يأخذ الأدوية ويترك ربع كوب الماء.. يتحرك إنشأت عن الصينية ويحدث الهجوم..

أنا وديمة وزينة نتسابق لنشرب بق المية الموجود في الكوب.. لأنها ببساطة.. ريحة بابا.. مش مية..

أجلس الآن وأشعر بالبرد..

أضم رائحة أبي وذكرياتى والكثير من الحب وصورة رجل تتراقص في خيالي.. رجل له رائحة أبي.. أخرج لأساعده في الثلج.. وأكل فخدة الدجاج لأجله.. أنتظر ساعتين حتى

ينتهي من صنع البيض.. رجل أركض لأرشف كوب الماء المتبقي منه لأنه ببساطة.....
رائحته.. رجل أشعر بالدفء لأني أتذكر ضحكته في الشتاء..

الجيلي كولا

الكتابة وفنجان القهوة.. كلاهما يحتاج أجواءً خاصة.. ومزاجًا عاليًا.. ونفس تستمتع بطعم البن، أو تملك روحًا نقية لديها استعداد تام للتسليم والخضوع للحظة صفاء روح وذهن وفكر مجرد بدون إرهاصات وهرطقة.. أنا هنا لأكتب بمزاج عن نفسي.. عن لحظة تسليم تام.. عن لحظة (الجيلي كولا)..

تجوب العالم الشديد الاتساع برغم ضيقه لتبحث عن تلك الضحكة.. التي تقف أمامها لتكتشف أن الدنيا الغدارة المحترارة دائمًا وأبدًا، الفاشلة في قدرتها على إرضاء ملك متوج أو صلوك في حوارها؛ قادرة على إرضائك في لحظة.. مجرد لحظة.. بكل تلك البساطة والسهولة..

التعقيد الذي أحيط به نفسي طوال الوقت ومحاولاتي المستميتة لبلوغ الكمال المطلق الناضج البعيد عن أي شوائب.. كلها سقطت في تلك اللحظة.. لحظة التسليم التام (للجيلي كولا)..

أنظر إلى انعكاس في روعي.. أبحث باجتهاد عن دليل على تلك الموهبة الفطرية.. تمسح غضبي بأستيكة وتجلس كطفل مشاكس.. تتناول حلوى (الجيلي كولا) وتبتسم وتمد يدك بقطعة إلى روعي الجريحة.. أتناولها منك بخجل، تذوب في فمي وتُدغدغ روعي ببهجة غير محددة الأركان.. أضحك مرغمة.. أقف بوهن شديد وأدعوك لفنجان شاي بلبن، تقوم بمساعدتي في إعداده.. تضيف السكر والشاي واللبن والماء.. وأدعي أنني صنعتته وأشرفت عليه بوجودي..

أجلس لأتابع فيلمًا من نوعك المفضل.. تستبقيني فترة أطول.. لا أكمل الفيلم ولكني أبقى لأتابعك.. دقة الساعة الثانية عشرة وسندريلا يجب أن تغادر قبل أن ينفك السحر.. ثمسك يدي وتضع فيها ثلاث قطع (جيلي كولا)، واحدة للطريق والأخرى للذكرى والقطعة الأخيرة

كرم مبالغ فيه.. أسألك فتجيب: انتي مش بتحبي (الجيلي كولا)؟! أهز رأسي وأبتسم..
أتردد ولا أخبرك أنه لم يكن يحبني وأناي أحبه الآن لأنه هديتك..

أبحث في حقيبتني عن علبة الأدوية، أصطدم بكيس (جيلي كولا).. أغمض عيني وأحاول
أن أتذكر من وضعه في حقيبتني؟! ومتى؟! وكيف؟! تلك الأسئلة لا تحمل سوى إجابة
واحدة.. أنت تتسلل إلى كل التفاصيل بهدوء صفحة ماء صافية.. تنحت الأيام قطع (جيلي
كولا) وتضعها سكاكراً في طريقي.. تزهو أيامي رغم شتائها القارص.. أتدثر بجوارك في
بطانية بنية اللون ناعمة الملمس كأنها دب صغير (حزون) يملك تلك القدرة الفطرية على
توزيع أحضان افتراضية وحقيقية وقبل دافئة بطعم (الجيلي كولا)..

أنا هنا لأتحدث عن قصتي وحلوى (الجيلي كولا)، عن ذلك الشعور (الحزون)، أنا هنا
لأختبر طعم الدنيا بقليل من السكر طوال الوقت والكثير من الطبطبة والحنية والاهتمام..
أنا هنا لأفشي أحد أهم الأسرار (البناتيتي) في الكرة الأرضية.. تلك الفتاة التي تجلس على
جنب طوال الوقت.. وتبتسم بخجل وتضحك بصوت مرتفع ضحكة رنانة.. ترضى بكيس
(جيلي كولا) وتفرح بدبدوب (حزون) ومج للخروج.. وكلمات على ورق.. وربما في أحسن
الأحوال خاتم على شكل نحلة وربما فراشة أو قلب.. تلك الفتاة لا تحتاج الكثير لتشعر
بالرضى والسعادة..... أمام لحظة (الجيلي كولا)..

النوتي تشير

أقف خلف شباك هو طاقة نور.. مساحة على عالم شديد الخصوصية.. حياة ملك لي وحدي.. أنا الطفلة أجلس على (النوتي تشير) لأني ببساطة كنت طفلة زيادة عن اللزوم لا يستوعبها أحد، وقد آن الأوان ليتم وضعي في قدر على نار مستعرة حتى أنضج تمامًا.. لكن السرعة في طهيي كما يجب كانت نتيجتها أن جزءًا مني احترق ولا يمكن تناوله بتلك المراحة..

النوتي تشير..

اختراع شخصي وخاص أستخدمه بحرفية.. بوش بوش (ابن ديمة) حملته بين ذراعي وصرخت (بت يا ديمة، الواد ده اتبدل في المستشفى، انتي عنيكى بني وأبوه كمان، طالع عينيه زرقة لمين؟)

وعندما كبر ونظر بلماضه وهو لم يكمل العامين وقال (تسلم إيدكي وعنيكي يا حبيبتي) تأكدت بما لا يدعو للشك إنه ابن ديمة أختي (لأنها ببساطة أروبة وفته في نفس الوقت).. لن أسترسل وأسهب في شقاوة محمد حسام الحسيني (بوش بوش) لأنها قد تتطلب كتابًا بأكمله، ومن الظلم ضغطها في نص واحد.. لكن أنا هنا بصدد الحديث عن قصتنا سويًا و(النوتي تشير).. تترك لي ديمة زمام الأمور التربوية.. أنظر بقوة في عينيه وأقول (بوش بوش، اللي مش هيسمع الكلام هيقعد على النوتي تشير).. في البداية يهتم بالموضوع ويقلق ويبادلني التوتر ونظرة غريبة مفادها (أنا بعمل كارثة بس اوعي تاخدي بالك).. لكن بعد فترة يصيح (عادي يعني النوتي تشير).. أقرر أن أرفع سقف التهديد (أمن الدولة وحبيب العدلي وحاليًا الشاطر مش أحسن مني بالمناسبة) فأصرح أن النوتي تشير أنواع وأن النوع المقصود هو نوتي تشير سخن.. (بالذمة ده منطوق؟! حاجة كده زي أفران هتلر) ينظر باستغراب وتتحول عيناه إلى صحون فنجان قهوة مدهوشة ومرعوبة (خالتوا أنا

حلو؟! أنا مش هقعد على النوتي تشير السخن؟! أكتفي بحركة من رأسي مفادها
(ماتظمنش قوي وخذ حذرك)..

لم يجلس بوش بوش على النوتي تشير السخن أبدًا لأنه في نظري لم يحرق المنزل أو يسرق عربية بابا أو يقوم بتبديد أموال تيتا على الراقصات والغواني أو على انتخابات مجلس الشعب، ولا حتى قرر الترشح لرئاسه المنزل والإطاحة بسيستم أختي وحكمها الدكتاتوري الرادكالي الأمبريالي الأخواني الوطني المستبد.. أما أنا فقد واجهت تهديدي وجلست على النوتي تشير، اللي بالمناسبة طلع سخن بجد.. لأنني ببساطة طفلة ضحكت (ههههههههه) ولم تُفكر بأنها كان يجب أن تكون أكثر حرصًا وانزائًا ونضوجًا.. وأنها لا يجب أن تتعامل مع الحياة بلطف مبالغ فيه كأنها (سليبرتي) لأنها ببساطة..... مجرد طفلة بتقعد على النوتي تشير السخن.

أحضان افتراضية

النداهة تناديني.. تسحبني لتغرقني في بحر من البياض.. أتورط عاطفياً مع الفكرة على الورقة.. أفكر كثيراً قبل أن أفرد أشرعتي في البحر لكني لا أعرف وجهتي أو خارطة الطريق.. لا أتحكم في الدفة ولا أرسو في ميناء بخاطري.. أنا أترك نفسي لهبوب المشاعر.. ألمح الشجن يدفعني في ليلة قمرية لأبكي وأجفف دموعي على السطور دون خجل.. وعندما تتسلل أشعة الشمس وتزيل ندى الفجر عن وجنتي أقفز في الماء الدافئ كحورية بحر احترفت العوم..

تلك مقدمة طويلة لحديث صغير عن الحضان..

الحضان هو أن تقرر أن تلعب استغماية مع الأيام.. هو الشعور المحبب بأنك تقفز على عتبات العمر لتغدو طفلاً صغيراً بريئاً ومشاكساً، وتستحق جائزة من الحنية المناسبة لحجم روحك مهما كبرت أو صغرت.. هو أنات ملحة للعطش والجوع والبرد والوحدة، وحاجتك للحظات من الاكتفاء الذاتي.. كل تلك التعريفات التي قد تبدو مناسبة ومنطقيه لا تقترب من الواقع..

الحضان..

هو السماح لنفسك بالشعور بالضعف.. أن تسمح لشخص غريب بالنظر إلى ملصق قابل للكسر المعلق على روحك.. أن تتعري داخلياً في غرفة قياس مخصصة لوجودك لا تدخلها الكاميرات.. الأحضان هي قدرتك على فرمتة عقلك وتنزيل سوفت وير متطور لتخرج من الحضان نسخة معدلة ومحسنة ومرتبة وتعمل بكفاءة أفضل وأسرع..

تستسلم للعبة الاستغماية.. تتكور على نفسك ويتسرب الدفاء إلى ضلوعك.. رائحة الحنية المميزة تجعلك تشعر بخدر غريب وحاجه ملحة للبقاء ثابتاً أطول فترة ممكنة مهما كان

وضحك غير مريح لبعض العضلات المشاكسة.. تلك الأنفاس على جبينك والطبطقة على ظهرك هي كل الحركة المسموح بها في حيز من المشاعر المضغوطة.. الجرعة المكثفة من الاهتمام للحظات عكس كل الأشياء في الدنيا ليس لها أي آثار جانبية غير الفرحة.. لكن ولأن للكون شروطًا وأحكامًا ومواصفات يجب أن تتطابق.. فالموضوع يجب أن يكون في حزن محدد.. وطريقة محددة للحزن..

يجب أن يخترق الحزن روحك وأن تشعر بتلك الطبطقة تمسح غدر الأيام.. يجب أن يكون الحزن بعيدًا عن الحيرة، أن تُلقي بنفسك فيه دون تردد.. يجب أن يكون الحزن ملزمًا، وأن تشعر بأنك تُبادل الحزن رد فعل مساوٍ لل فعل وغير معاكس في الاتجاه.. الحزن ونس.. لا تترك الحزن يخلف لديك شعورًا بالمرارة أو الحزن أو الخيبة أو الوحدة.. الحزن يجب أن يكون أكبر دليل على التقاء الفرقاء، حنون وطيب وصلب وقاسٍ في نفس اللحظة.. تلك الحلاوة والحموضة هي التي تصنع أفضل الأحضان.. لا تستأذن قبل أن تحزن أحدهم، ولا تعرض عليه الفكرة، يجب أن تخلعه من أرضه وتزرعه في حزنك في غمضة عين..

الحزن.. والكتابة.. كلاهما يأتي على غفلة.. تناديك النداهة فتقفز على الورق أو تلقي بنفسك في حزن ما.. تعتصر داخلك ليخرج في الحزن أو في نص يحتضن الأحرف، وكلاهما يطبب على روحك ويمنحك القليل من الصبر والكثير من المتعة.. متعة البقاء على وجه الماء بعيدًا عن الغرق في اللاوعي الإنساني.. نتميز عن المخلوقات بقدرتنا على التعبير بوضوح.. فلا تخجل من أن تُعبّر عن مشاعرك بحزن أو نص، أو كلاهما معًا إن أمكن..

أنا هنا أكتب بعيدًا عن حزنك.. وأنتظر لحظة لا أعلمها.. لأكتب فيها عن حزنك باستفاضة.. سألقى بنفسك في بحرك بدون تفكير ولن أهتم بمظهري أو ملابسك التي تبتل بدموع طفلة صغيرة تأخر والدها عن ميعاد انصرافها من المدرسة.. قطرات المطر التي تُبلل شاشتي الآن تنفكسك رغم مسافات مفروشة بنصوص أدبية وأحضان افتراضية.. تلك

النداهة التي تنتظر الليل لتتسلل إلى وسادتي وتوقظني لأكتب عنك أو عن شباكي أو عن قطرات المطر.. النداهة تناديني لوجهك الذي أرى فيه صورًا لعمرى بأكمله.. أشعر بالعطش لحضن على مقاسي لتروي جفاف عروق تبحث عن وصل دائم.. إنه ضباب الشوق الذي يخفيك عن النص وعن الحضن وربما لا يصلك صوت النداهة.

عفاريت الكتابة

هجرتني عفاريت الكتابة منذ فترة ليست بالقصيرة، وتركتني غاضبة بعد أن خيرتني بينها وبين الألوان والفرش.. حاولت أن أجادلها وأن أقنعها بأن الألوان لا تحاول أن تستولي على عاطفتي، حدثتها عن الكوب الذي يسقط من ثقل الفرش ولا يهتم بعواطفي وشجوني.. وأن لحظات الصمت تجمعني مع اللوحات البيضاء الكبيرة.. صرخت في وجهها بأن الألوان تنسكب دون قصد منها أو مني.. حاولت أن أحدثها أن العلاقة بيني وبين الرسم هي كعلاقتي بأنامل يدي أو خصلات شعري؛ لا أحتاج للمسها فهي موجودة بوجودي.. لكن عفاريت الكتابة لم تصدقني ورحلت ليلاً في ليلة مقمرة.. تركت الكتب والأقلام مبعثرة على الأرض وأخذت جميع الأوراق البيضاء معها.. وبقيت أنا وحيدة.. أفكر في طريقة لأحضر فيها أرواحاً ميتة وأعيد الحياة للكتابة التي هجرتني إلى الالعودة.. وتركتني ألوث إصبغاً محددًا بعينة في يدي اليمين بالألوان كل مرة أمارس فيها الرسم كأني في حالة تنويم مغناطيسي..

جلست في الليل.. أتابع الصمت والبرد الذي لا يأتي.. ربما يحمل في الهواء دليلاً ما.. أتذكرك.. وأنت لا تفارق خيالي لو تعلم.. وكأنك تعلم!!! أجلس في عالم الأحلام الغريب الذي يطاردني.. ولا أطارده.. أستقبله باستسلام.. أنا لم أعود على الركض.. لا أخاف المواجهة.. ولا تُرهيني الأحداث.. لا يؤرقني المستقبل.. أتمسك بقدرتي على البقاء والثبات.. وأردد (إن معي ربي سيهدين).. ودائمًا ما تأتي الهداية.. لا تُخلف معادها.. أنتظر.. ولا تأتي الأفكار.. ولا أنت.. أعاود الرسم بجنون.. أبعثر الألوان في كل مكان.. على جدران الليل.. على النجوم.. على سقف القمر.. ألونه أصفر بلون الشمس.. فيختلط على الناس.. يستيقظ كل النائمين في حالة من الغضب والسخط.. ينظر رجل عجوز إلى ساعته فيجدها لا تعمل.. توقفت على إثر الدهشة والفرع.. تبكي فتاة صغيرة، فهي لا تريد أن تذهب إلى المدرسة.. وينظر رجل آخر إلى ملابس العمل بازدراء شديد ويرتديها على مضض ويخرج من الباب.. أخاف أن

يراني أحدهم.. فأختبئ تحت شجرة توت تسقط منها الحبات التي نضجت قبل الأوان..
أذوقها وأبكي.. المرارة في فمي تُذكرني بحلاوة لقائنا.. تلك الحظات التي أقضيها معك ولا
أفكر في الرسم أو الكتابة.. لا أشعر بتلك السيطرة التي تطاردني طوال الوقت وتُمزقني..
أغفو.. تطاردني الكوابيس وعفريت شرير تمتد أنامله القبيحة لتلمس ركبتني.. أردد الآيات
والأدعية دون توقف.. وأستيقظ.. أتنفس بهدوء وأحتضن نفسي وأنا أردد الهداية تأتي في
الوقت المناسب.. (إن معي ربي سيهدين).

أمسك الريشة وأخرج من مخبأي.. ألون شجرة التوت.. وأصعد على أغصانها أعيد للقمر
زرقته وبياض قلبه، وأطبع قبلة اعتذار على جبينه.. أنزل إلى النجوم.. فألون كل واحدة
منها على حدة بلونها المفضل.. أضحك على نجمة صغيرة تعشق اللون البمبي واللون
التركواز فأقسّمها قسمين وألون كل قسم بلون.. أشهق وأضع يدي على قلبي.. كيف لم تفهم
عفاريت الكتابة أنني أحبها كحب تلك النجمة للون التركواز، وأحب الرسم كحب تلك النجمة
للون البمبي.. ألون النجوم.. وأضحك.. تهرب الكوابيس التي تطاردني بعيداً.. وأجلس منهكة
على أرضية خشنة من القش.. أسمع صوت المؤذن يدعو لصلاة الفجر.. أقف وأنا أغلب
الإرهاق الناجم عن الأدوية واضطراب النوم.. أدعو الله أن يُطفئ تلك النار التي تستعر
بداخلي من الشوق والحنين إليك.. وأن يخفف تلك الغربة والوحشة.. أجلس على السجادة
الزرقاء وأبتسم.. لا أشعر بالخشونة.. رب العالمين يطبب على أرواحنا في الوقت المناسب
تماماً كنوع من الهداية.. بسجادة.. بقدرة لسانك على الانطلاق بدعاء ما في توقيت ما..
بلوحة.. بنص.. بقطعة من الحلوى.. بطبق من التوت.. بنظرة إلى القمر.. بركعتين فجر في
سكون الليل.. بحضن طيب.. بلحظة حب.. بصباح رائق.. بنوم غير مضطرب.. بشوية برد..
أغمض عيوني.. لا أخلع ملابس الصلاة.. أفكر وأنا أتنفس بعمق.. سأكتب.. (إن ربي معي
سيهدي)..

رجل لدور البطولة

قالت له حبيبي كما لم تقلها من قبل.. جلست لتنظر إلى عينيه دون التفكير في آلة الزمن أو نظرية التعويض وتصحيح الخطأ.. نسيت كل تلك الأمور التي تحتاج إلى كلمة بأثر رجعي، وتحتاج إلى كثير من التفكير والأسف والعتاب.. ألفت بيدها لتستقر في مرقدتها بين كفيه، وتعاملت مع الكون بيد واحدة قابلة للحركة وأداء كل المهام بحماس وشغف وسرعة نيابة عن الأخرى، التي تُرسل لها الدم والحب والحنينة..

قالت لها صديقة يوماً ما.. مش مهم الدنيا تعمل فيكي إيه.. المهم إن الواحد في الآخر يعيش يومين حلوين.. نظرت لها بحزن ولم تنطق.. كانت تعلم أن الحياة يجب أن تكون عمراً بأكمله «حلو»، مش يومين.. وأن العمر يجلس هنا بجوارها.. يمسخ يدها.. يضحك.. ويضمها بين الحين والآخر ليطمئن أنها لا زالت بجواره..

قال لها.. أريد أن أرقص معك.. ابتسمت على استحياء وأخبرته أن المساء لم يكن وردي الشرفات بما يكفي ليجمعهم في رقصة طويلة حميمية.. وأنها تستحي أن تقف على قدمه عن طريق الخطأ.. ابتسم وطوّقها بذراعيه.. أخبرها بأن قدميها تبدوان جميلة في الحذاء الجديد الذي حمله عبر أربع بلاد متتالية لأجلها فقط.. تشعر بالخجل وهو يتفحص أناملها التي صبغتها بلون وردي.. ينظر إلى لون بني غامق في عينيها يميل للسواد عندما تضع الكحل.. يسأل بطفولة: بعدين بقى في لون عينيكي ده اللي مش عارف هو إيه!

الرجالة كلهم زي بعض!! ماتتعبيش نفسك.. هي دي الحقيقة، كلهم زي بعض.. نكديين وزنانين وما بيهمهش حد غير أنفسهم بس.. وهو كان دائم الابتسام، وكان يزنّ قليلاً فقط، ويعود ليركن بجوار ذراعها الذي يعرف طريقه إلى قلبه.. أما موضوع الأناينة فهو أبعد ما يكون عنه..

- حبيبي ملكش دعوة بيا.. أنا هبقى كويسة..

- نعم.. ازاى تقولي كده وانتي نفسي!

(أناينة مين بقى.. يا بنتي أنا عاوزاكي تاخدي الجملة دي بقى وتقيسي عليها).. كانت تعلم أنه لا يشبه بقية الرجال.. وأنه نوع نادر وخاص.. يبتاع لها لعبة تُضحكها ويُهدئها قلبه بكل الأشكال الممكنة.. رجل يتغزل بلون وردي على أناملها.. ويُطعمها بيده.. رجل يفتح لها زجاجة المياه؛ لا يمكن أن يكون أنانيًا أو زنايًا أو نكديًا..

نظر إلى لون أزرق وأسماك ملونة وهدوء مريح للأعصاب.. ابتسمت لأنها معه ولأنه يمسك يدها.. وابتسم لأنها هنا لأجله.. تخرج معه وتحيطه بالحب والحنية والاهتمام.. نظرت إلى رجل عجوز يتحامل على العصا ويقف بجوار الزجاج لتأخذ له حفيدته صورة بينما تمسك زوجته بكرسي متحرك.. يجلس عليه ويلمس كفها بامتنان.. يغمرها البياض في ثوبه وروحه وذقنه الطويلة براحة مضاعفة.. تعلم أنها ربما تتبادل الأدوار وتجلس هي على الكرسي عجوزًا كبيرة، وأنه سيحملها بين يديه لتأخذ صورة بجوار حوض السمك، وأن حفيدتها ربما تُحضر لهما كيس غزل بنات واحد فينقاسمان الكيس والعمر والحياة والأحلام والصور.. تقف على قدمه عن طريق الخطأ.. يمسكها ويقول (حاسبي.. هتوقعي)، تضحك وتفكر (ده أنا بدوس على رجلك من غير ما نرقص، أو مال يا حبيبي لو كنا رقصنا كنت هعمل فيك إيه)..

تعود إلى غرفتها ليلاً.. تخلع الحذاء وتضعه على الأرض.. تحمل في روحها درجًا من الذكريات والكلمات والوعود.. تضع نفسها على السرير.. تتقلب بدون روح أو جسد أو قلب أو عقل.. تغمس كفها التي تحمل رائحته في الأغطية تضعها بجوار أنفها.. تتلمس الهواء المشبع به.. تمسح دموعها الساخنة التي تشتاق إليه بقوة.. تشعر بأنه سلبها إرادة البعد والعتاب والغضب.. جردها من اختلافاتهم وألقى بها بعيدًا في البحر ووقف ليأخذ صورة بجوارها وابتسم بوذ..

إنه الرجل الذي يملأ الفراغات من حوله.. رجل لدور البطولة..

يقف عند هواياتك واهتمامتك وطموحك ويكون صديقًا وفيًا..

يغمرك بعاطفة الأبوة ويضمك عندما يسكنك الحزن أو تعبك الحيل؛ فهو ملجأ وسند وأمان..

يحبك كما لم يحبك أحد من قبل.. أناملك.. خصلات شعرك.. ابتسامتك.. الكحل في عينيك..
ألوانك.. رائحة عطرِك.. ندى صوتك.. كل ما فيك لأنه فيك..

إنه..... ميناء السلام.. لترسو سفنك ولا تغادر روحه أبدًا..

عمو مروان

جلست على الدرجات الباردة لبيت جدها في جبل الحسين.. تلك الدرجات التي كانت تلعب عليها طوال الوقت.. تقفز وتغني وتختبئ.. فكرت ما هو الشعور بأن يكون أحدهم مصابًا بمرض القلب؟! هل تشعر بأن قطعة صغيرة من صدرك بارزة، أو أنها تخرج من مكانها، أو أن الهواء يتسرب من وإلى ظهرك بسبب ثقب موجود ولا يراه أحد؟

لم تحصل على إجابة منطقية.. لكنها لم تكن طفلة في ذلك تحديدًا.. طفولتها التي قفزت على أغصان شجرة الليمون لم تنزل و(ظلت متشعبطة فوق).. كيف نتغلب على الفقد؟! وكيف نُنزل الطفولة من فوق أغصان شجرة الليمون؟!

(العصافير بتاكل عسل)، لم تكن تُصدق أن العصافير الصغيرة تأكل أي عسل أو أي طعام، لكنها تظاهرت بالتصديق وتناولت ملعقة العسل من يده.. العصافير الصغيرة البرية التي كان يصطادها عمو مروان ويضعها في أقفاص في المنزل وتبدأ صباحًا بالصفير.. كانت تعلم بأنها لا تأكل العسل.. ولا تستيقظ باكراً لتدخل المطبخ وتصنع الفول وتُحضّر الفلافل، تقلي الجبنة النابلسية وتسخن الخبز وتصنع إبريق الشاي..

العصافير أيضًا.. لا تركض خلفك بمج الهوت تشوكولات، ولا تُعطيك مصروفًا خياليًا، ولا تُحضر لك قرطاسية تُبهر تلاميذ الصف الثالث الابتدائي لأيام طويلة.. لا تصطحبك لعيد ميلاد صديقك محملاً بالمجموعة الكاملة من قصص المكتبة الخضراء.. العصافير لا تأخذك إلى المزرعة ولا إلى الطبيب.. ولا تحنو عليك..

عمو مروان.. كان يصطاد العصافير.. ويقوم بدورها الأسطوري، ويدّعي أنه لم يصنع شيئًا..

عمو مروان.. الذي تُوفي عريسًا بمرض القلب.. كان يملك قلبًا لا يعرف الأمراض..

لا أذكر عنه يومًا أنه كان قاسي القلب.. ولا ظالمًا أو حقودًا أو حسودًا.. ولم يمارس حقه الطبيعي بالدفاع المشروع عن النفس، بل فضّل أن تكون حياته ملك للجميع، ولأبي خاصة دون الجميع.. أبي الذي لم يكن مريضًا بمرض يهدد حياته كعمي.. فضّل الثاني أن يعامله بدلال وأن يحتفظ له بمكانة الأخ الأصغر، وصاحب الحق الوحيد بالحصول على كل أنواع الاهتمام والرعاية.. وبقي هو في الظل..

أبي.. الذي شعر بالثقب يخترق روحه عندما تُوفي (البطرك)، لا يتحدث عنه إلا نادرًا.. يُفضل أن يكتف بالثقب بكف يده طوال الوقت وأن يترك الهواء البارد طوال العام يُصفر في روحه.. أبي الذي أعلم أنه لم ينس عمي مروان يومًا من الأيام، ترك المرح معلقًا على غصن شجرة الليمون بوفاته.. ولم يعد كما كان..

أحلام أكشن

الأيام دي تحديدًا ومع أدوية التهاب الأعصاب اللي اكتشفت وبصراحة إنها مخصصة لمرضى الصرع (شفاهم الله من كل الأمراض) بتطاردني أشباح من الماضي في الحلم طول الوقت.. والماضي ده بعيد كل البعد عني شخصيًا.. أصل مش ممكن يكون في ماضي بيربطني بماري أنطوانيت أو القذافي أو طلعت حرب أو مصطفى كامل.. لكن الحقيقة إن الناس دي هي الأبطال الرئيسية لأحلامي، وممكن تتغير مواقع تصوير الحلم.. يوم أكون في باريس ويوم ثاني في روسيا ويوم ثالث في البنديقية ويوم رابع في السيدة زينب.. بس للأسف أحلام الأكشن دي بتخليني أشعر بإنني مستنزفة تمامًا.. مش كفاية صوت عمرو أديب كل يوم بليل بيزعق زي الغراب، وبيفكرني بالشريط بتاع عذاب القبر اللي كان عادل إمام شايله في فيلم الإرهابي.. المهم إنني بقيت حاسة إن الكوكب بقى دوشة بشكل مبالغ فيه، وإنني محتاجة وبقوة إنني أشد الكوبس وأفضل الكهرباء عن دماغي..

لكن ولإن ده مستحيل.. فقررت إنني أبرمج السوفت وير العقلي بتاعي وأحاول مثلاً أحط شخصيات أخرى أنا شيفاها أنسب جدًا لأحلامي وهلاوسي..

وداد حمدي.. الست اللي عملت ٦٠٠ فيلم وكانت من أصل كردي.. الست دي بدأت حياتها الفنية كمطربة، وبرغم إنني ماتخيلش صوتها كان عامل إزاي؛ إلا إنها استمرت طول السنين دي، لكنها ماتت مقتولة غدراً.. لإن واحد ريجسير طمع في الغوشتين اللي كانوا حيلتها.. أنا ممكن أحلم بيها.. بس بلاش دور الخادمة اللي كانوا بيحطوها فيه طول الوقت.. أنا هخليها هانم.. لا، ست الهوانم كمان، وعندها خدم وحشم.. يمكن أسعدها في حلم..

زينات صدقي.. يا لهوي علي جمال الست دي.. هو إزاي الرجالة ماكنتش واخده بالها إن الست دي كانت جميلة!! تقريبًا عبدالفتاح القصري هو الوحيد اللي كان واخده باله منها.. الإسكندرانية اللي برضك بدأت حياتها الفنية كمغنية ودرست تمثيل في (معهد أنصار

التمثيل والخيالة) اللي أسسه زكي طليمات.. الرائعة اللي قدمت دور العانس والسيدة سليطة اللسان في ٤٠٠ فيلم، وماتت وهي تعاني من الفقر الشديد، وكانت بتبيع عفش بيتها عشان تاكل وتتعالج بسبب الميه على الرئة.. الست دي بقى أنا هاجيبها في أحلامي وأخلي عمر الشريف يقع في غرامها، وتفضل هي تصده وتقوله لا أنا أسفة.. وجايز احتمال تشفق عليه وتتجوزه في الآخر..

عبد الوراث عسر.. الراجل ده طول عمري أسمع بابا بيقول إنه اتولد كبير كده.. وإنه عمره ما كان صغير في السن.. مع إن محدش يعني بيتولد عجوز.. الراجل ده تعلم التجويد وحفظ القرآن وأخذ البكالوريا، وليه ديوان شعر وكتاب اسمه فن الإلقاء، علم كثير من الوجوه الشابة حتى يومنا هذا طريقة النطق والكلام.. كانت مهمته في حياته تدريب الممثلين، وبرغم إنه مثل كثير وكتب سيناريوهات.. عبدالوراث عسر.. هيبقى في أحلامي شاب جميل صغير السن.. وهحقق أمنية وأثبت لبابا إنه كان في يوم تلميذ في مدرسة مثلاً.. أو طالب في الجامعة الأمريكية..

يا ريت نقدر كلنا ناخذ حاجة تخلينا نشوف الواقع بشكل مختلف.. نمتلك القدرة على تغيير الأمور للأفضل.. ترتيب الأحداث للأجمل.. أو حتى الأحلام لقدام.. مش ضروري مين ينجح على حساب مين، أو مين صوته أعلى وبالتالي بيتسمع، ومش مهم مين بيوشوش على مين، الحكاية مش انقلاب ولا ثورة؟! لجنة ٥٠ ولا ٨٠ ولا ١٢٠؟! الموضوع أكبر وأعمق.. إحنا بقينا مش طايقين بعض.. إحنا رضينا إن واحد يلعب دور العسكر والثاني دور الحرامي والثالث دور العميل الخائن والرابع دور الضحية والخامس دور اللي مش فاهم اللعبة أصلاً والسادس اللي بره اللعبة.. والسابع اللي بره الدنيا.. كنا زمان بنسمع عن نظرية المؤامرة المستوردة، وقررنا نصنع واحدة محلي، وفرحنا بكل عيوب التصنيع.. مقدرناش نعيش مع إننا تحت القمع والظلم قعدنا أكثر من ٣٠ سنة عايشين.. رضينا نقتل بعض ونسيب القاتل يتفرج علينا وإحنا بنخلص على بعض بإيدين بعض.. الناس اللي نزلت التحرير وكان عندهم حلم واحد؛ هما نفسهم بقى عندهم ٨٠ مليون حلم مختلف.. كل الشعب بقى بياخد أدوية التهاب أعصاب وبيشوف الماضي بس.. أبيض وإسود.. محدش عنده استعداد يلون

ويجب الماضي قدام.. طب يعمل تغيير؟! يبطل تخوين؟! يتنازل؟! يحب اللي جنبه عشان
يتحب؟! كلنا محتاجين مانتقتلش زي وداد حمدي عشان غوشتين ومايجيش الموت ياخذ
واحد منا عيان زي زينات صدقي عشان ماعهوش تمن الدوا.. ومحدث فينا يعيش عمر
بحاله عجوز زي عبد الوارث عسر..

ما عاش يا بابا

- فكرة.. الراجل اللي مابيتكلمش خالص ويفضل ساكت كده بيبقى كويس وعظيم.. صدقوني.. الموضوع مالهُوش أي علاقة بأي كلام.. زمان.. وأنا طفلة.. اكتشفت إن أبويا من النوع ده من الرجالة.. طيب وحنون.. لكن مابيعرفش يقول.. أو بيتخيل إنك بتفهم من غير ما هو يقول.. أبويا الشخص المسالم اللطيف الوقور اللي أنا بسميه (آخر الرجال المحترمين) بيمتاز بحكمة غير عادية.. وكثير من الناس بتروح تاخذ رأيه في مشاكل ليها أو مواضيع معقدة.. لكن للأسف ببيجي عندنا إحنا بناته، ويكتفي بالصمت.. عمري ما أفكر إن بابا مثلاً شتم حد بألفاظ خارجة.. أو اتعصب بشكل مبالغ فيه.. ضربني مرة واحدة في حياتي بالقلم على وشي.. وساعتها لما جه يصالحني ضحكت وقولت له: بلاش تمد إيدك تاني يا عم الحاج أحسن طلعت مرزبة (حضني وضحك).. بابا له معايا ٣ مواقف بس.. هما كل زاد الحثية اللي موجود في جرابي.. كنت في تالته إعدادي وجبت علامة وحشة في الفيزياء لسبب سري (الأستاذ كان وقح وبيبصص للبنات في الفصل وماكنتش أقدر أقول لإنني طفلة ومش فاهمة) المهم سميرة (ماما) بتضرب بضمير قوي، أو تقدرنا تقولوا حاجة كده سحل شبه بتاع القوات الخاصة.. وده لإنها من أنصار نظرية اكسر للبنات ضلع يطلع لها عشرين.. وبصراحة الكلام ده بينفع أوقات مع اعتراض على الضرب.. يومها بابا حماني منها وقعد قدامي على السرير، بص في عينيا وقال (أنا أخذتها بدمتي هاي المرة.. رح تكسري كلمة أبوكي؟! احتجاجي علامة مش منيحة الشهر الجاي وتكسري كلمتي قدام أمك؟) رديت (ماعاش يا بابا)، ودرست ٤٨ ساعة متواصل وجبت أعلى علامة في الفصل.. المرة الثانية كنت عيانة وقاعدة معاه في البلكونة في شقة القاهرة، رفع راسه وقال (أنا عندي ٣ بنات صح؟ عارفة حب الرسول عليه الصلاة والسلام للسيدة فاطمة؟! أنا مع الفارق بحبك كده)، يومها ابتسمت بوهن وكان نفسي أحضنه وماقدرتش لإنني مش متعودة.. سمعته مرة بيقول مش عاوز لينا وهي بتسلم عليا أشوف في عينها حزن، وهو مابيعرفش إنني سمعته بيقول ده، والمرة الثالثة كان بيعمل عملية في عمان.. دخلت الأسانسير معاه

وهو رايح العمليات، رفع راسه وقال (الله يرضى عليكى يا بابا).. الممرضات قالوا: وإحنا يا
عمو؟ قال: وإنتوا كمان الله يرضى عليكم كلكم.. أيوه أنا بحب أبويا بمنطق الأم في بعض
الأوقات.. بهزر معاه.. وأخفف عنه لما يكون تعبان.. وأقلق لو مش شايف كويس.. أو عنده
مشكلة.. وحتى لو مقالش ولا كلمة غير دول.. أنا شيفاهم كفاية.. صحيح ربنا عالم
بالقلوب.. بس أنا بحس بقلب أبويا وده كفاية.. الراجل اللي بيفضل ساكت.. عنده قلب
يتحس.. بطلي رغي بس انتي وهي.. وهتسمعيه كويس..

الحب هو

الحب.. هو إنك تقدر تقاطعه في نص الكلام وتقول حدوتة تانية خالص.. ومايزعلش منك ولا يتقمص..

الحب.. هو إنه يبقى عاوز يروح يجيب لنفسه سندوتش حلاوة بالقشطة، ومع أول لقمة يفكر إنك بتحبها ويصعب عليه إنك مش بتاكلي ومايقدرش يكمل أكل..

الحب.. هو إنك تغضبي منه وقلبك مسامحه.. تحزني وإنني بتدعيه ربنا يفرجها عليه ويرجعه سالم غانم..

الحب.. هو إنك تنزلي تشتري لنفسك هدوم وترجعي جايبة الحاجات اللي هو بيحبها، وكأنه هو اللي اختارها بنفسه..

الحب.. هو كلمة (سلامتك).. ورد (الله يسلمك).. و(هدعيلك وأنا بصلي).. و(دعتك كثير).. كل الجمل دي ملهاش غير معنى واحد (أنا فاكرك طول الوقت)..

الحب.. عروسة تتجاف في آخر الشهر وانت مامعكش فلوس كفاية عشان هي بتحب الحاجات العبيطة دي (مع الملاحظة إنك مبقتش تشوفها عبيطة زي زمان، ولو كانت هي أي بنت تانية كنت هتقول عنها سخيفة ولازم تكبر)..

الحب.. المبررات اللي دايمًا موجودة وحاضرة في الفريزر تحت الطلب على التسخين بس.. عند أول غلطة قلبك بيناول عقلك وجبة من ٣ أطباق عشان يقتنع ويجيله تخمة كمان.. وينام مطمئن إنه أكيد بيخرف..

الحب.. هو الفضفضة للأصحاب بمنطق أبوي (أدعي على ابني وأكره اللي يقول آمين).. ولما حد يقولك معاك حق هي الغلطانة.. تقوله: لأ أنا اللي زفت وماقدرتش إنها تعبانة..

الحب.. هو إن كل حاجة تتغير كل يوم وكل ساعة وكل ثانية، لكن في لحظة.. تحط إيدك
السقعة على قلبك وتكتشف إنه لسه على البوتجاز مولع وبيغلي بحبها زي زمان..

الحب.. إنك تغلط.. وترتكب نفس الأخطاء وتعتذر.. وتحاول.. إنك تكون متسامح وطيب
وحنون وعطوف مع نفسك لإنك زعلتها.. أما هي فأكيد سامحتك من زمان..

الحب.. حزن دافي الصبح وكوباية لبن.. كلمتين حلوين في عزّ البرد.. عزومة آيس كريم
في الحر.. وفيلم قديم أبيض وإسود.. زينات صدقي بتدلق الملوخية.. إسماعيل ياسين
بيعمل عبيط.. وأغاني عمرو دياب القديمة.. سامية جمال بترقص.. كم هائل من الذكريات
الموجودة.. من قبل ميلاد المسيح.. ولحد النهارده..

الحب..... هو (صاحبي المفضل).. وهي (الحد الوحيد اللي بحكيه من غير ما تقفش في
زمارة رقبتني)..

الحب.. .. هو إنك تحب وتتحب.. بنفس الطريقة طول الوقت وكل فصول السنة (حتى في
عز البرد)..

مكالمة دولي

- من كتر ما بعثك حاجات.. نسيت أنا بعث إيه.. ولسه فاضل حاجات؟! ولا خلاص كلها اتبعثت؟!

الحاجات اللي انت قلت عليها..

القميمص الجديد وساعة إيد وصورتني في برواز..

جواب وكتاب وشوية حب في ظرف عليه ريحة من بتاعة زمان..

الأمل سيباه عليك.. ابعتلي شوية من عندك.. هو انت هناك عندك أمل؟

- .. لأ..

- هنعرف نلاقه يا حبيبي ماتقلقش.. هنجيبه من أي حته.. هنتصرف.. حطيتك شوية صبر في علبة صغيرة لزوم الأيام الطويلة.. وحطيتك كمان سكر فضة.. من بتاع جدتي الله يرحمها.. كانت بتقول بيحلي مرارة الغربة.

عارف إني بحبك؟! ومقدرة البعاد وطول الحزن؟!

يمكن ما حطيتش شوية ذكريات، هاجبهم وأحطهم بس لما أشتريك شوية شرابات.. هبعثهم سوا عشان ماتنقطعش الحاجات والحبل يفضل موصول.. أهو حاجة كمان مع المكالمات والجوايات..

بتقول إيه؟!

- ما بقولش!

- لآء إنت داءمآ بتقول.. بسمعك جوه الأوضة وفي الصالة وفي الحمام.. اتعشيت؟! صليت العشا قبل ما تنام؟!

-

- اوعى تكون بتكسل في الصلاة؟! أنا عرفاك مش هتعمل كده! امبارح أختك كانت هنا.. اتعشت معايا.. وضحكنا كثير.. أيوة لسه بضحك مش زي زمان، بس بضحك.. إديتها وهي مروحة بقية الفطير.. أصلي عارفة إنك مش بتحبه.. كل ما أطبخ حاجة بتحبها.. أخبيك شوية.. عندي إحساس إنك هتيجي من بره جعان.. تفتح التلاجة وتطلع الأكل.. أو تنده بصوت عالي: إنتوا مش طابخين النهاردة؟! طب مفيش كوباية عصير؟! طب شوكلاتاية تصبيرة أو حطة بسبوسة؟!

- أنا مش عاوزك تفكري كثير..

- متحاولش.. هفكر.. وهشيل الهم.. انت متعرفش أصلك.. كل ست جواها بالفطرة أم.

الشتا دخل والدنيا برد وانت مش بتاخذ بالك.. اللي عندك ده مش حساسية.. انت بس الشوارع وحشاك والأكيد إنك عارف إنني محتجاك.. وأنا إن جيت للحق متوحشاك.. وبفتكرك طول الوقت.. وبتخانق معاك ومع نفسي ومع الأخبار والبلد، وبحسد خالك اللي متجوزش وجارتنا اللي ما عندهش ولد..

- .. عوزاني أرجع؟!

- بتتلكك بيا إياك!! ضروري وحشوك العيال ووحشتك التمشية.. الدفا ولمة الصحاب بليل.. صوت كلاكس العربيات.. الزحمة والمشاوير.. وخالتك اللي طلباتها كثير.. عمك اللي مات بيسألني عنك.. زارني من كام يوم في الحلم.. قال: هيجي في أجازة العيد؟!

يقطع أبو الأجازات.. العمر كله راح وانت بتعد المشاوير.. وجدتك بتقول متخلهوش يتأخر
في المواعيد.. أسيبك دولقتي بخير.. وأجري قبل ما تقفل المحلات.. افتكرت أشتريك يا
حبيبي شوية حاجات.. خلي بالك على نفسك.. وكُل كويس واتغطي بليل وماتنساش
الصلاة.. تصبح على خير.. سلام..

- ألو.. ألو..

سر شويبس

يقولون دومًا إن البدايات يجب أن تكون قوية وأن النهايات يجب أن تكون قوية أيضًا.. ولا مانع من مفاجأة في مكان ما قرب النهاية تقلب موازين الحكاية وتجعلك خارج النص مذهول الروح والقلب.. في حالة من الصدمة والتأثر العميق.. أما الحشو فتستطيع أن تجعله مهلهلاً إن أردت.. ربما ينقصه الملح أو السكر أو الفلفل، أو ينقصه كل شيء..

أختلف مع تلك النظرية ولا أقوى على معارضتها بأي شكل من الأشكال.. أجلس وأضع بطانية على قدمي.. أحاول أن أبعث الدفء في أطرافي المتجمدة وألوز بالصمت.. أضع رأسي المحملة بالذكريات على طرف الكنبه وأنظر من النافذة إلى قطرات المطر التي تنساب بهدوء يذكرني بكل الحشو الذي حملة جيل بأكمله أنتمي أنا إليه.. أبتسم مرغمة وأنا أسترجع صوت ياسمين عبد العزيز وهي تقفز في إعلانات التلفزيونات تغني لشوكولاتة أو لبان أو بسكويت..

نعم.. أنا من جيل شوكولاتة كورونا.. الشوكولاتة السمراء الطيبة التي تختبئ باستكانه في غلاف فضي وورقة زرقاء فاتحة..

أنا من جيل الكيس الأصفر الذي يحوي تلك القطع المطاطية الشقية من الجيلي كولا..

أنا من جيل الشمعدان بألوانه الأحمر والأصفر والأبيض.. البسكويت الذي كان يُسكت الجوع في معدة طفل صغير وفتاة شابة وتلميذ جامعة وأم عاملة..

أنا من جيل شوكولاتة جيرسي التي تُعتبر الاختراع المصري لشوكولاتة باونتي، والحقيقة أنها كانت فعلاً واكله الجو.. فلن أنسى أنني نزلت في الثلج سيرًا على الأقدام أنا وبابا لمدة ساعة عشان نرجع محملين بكرتونة شوكولاتة جيرسي..

أنا من جيل لبنان بمبم.. ومجلة ميكي.. ورجل المستحيل..

أنا من الجيل الذي بحث سنين طويلة عن سر شويبس ولم يعرفه وتركه مدفوناً مع الراحل حسن عابدين..

أنا من جيل إيهاب توفيق وحميد الشاعري ومصطفى قمر وعلاء عبد الخالق وفرقة أصحاب ومنى عبد الغني وهدى عمار وشرايط منير وعلي الحجار.. أنا أنتمي إلى آخر جيل كان يبسأل (شريط منير هينزل امتي؟).. أنا من الجيل اللي كان بيستحمل الشريط وهو بيسف، وتعلم بالممارسة كيفية لف الشريط والنفخ عليه.. أنا لا أنتمي لجيل التسريبات على النت.. ولا إلى جيل السي دي ولا إلى جيل اليو إس بي.. أنا لا أستطيع حتى هذه اللحظة أن أقوم بتحمل فيلم أو أغنية على جهاز الكمبيوتر الخاص بي.. بل أذهب بنفسني إلى المحل المختص وأشتري القرص المضغوط وأدفع تكاليف النسخة الأوريجنال لأنني أؤمن بفكرة إنك تكون معاك نسختك الأصلية.. أنا من الجيل الذي يُقدّر الاقتناء وفن التحويش، وإن يكون عندك هواية زي تجميع مجلات ميكي أو الطوايع أو الملصقات بتاعة لاعبة الكورة، أنا أعرف ناس كبار حتى هذه اللحظة لسه بيحوشوا (بلي)..

أنا من جيل الشاي بلبن.. وبسكويت ماري.. وأغاني عفاف راضي.. وتفسير الشيخ الشعراوي.. والعلم والإيمان لدكتور مصطفى محمود.. وماما نجوى وبقلاظ.. وبوجي وطمطم.. وأبلة فضيلة..

أنا من الجيل اللي قرا لنجيب محفوظ ولازال يقرأ له حتى الآن.. أنا من جيل محمود السعدني وأحمد رجب وأنيس منصور..

أنا من جيل الأبيض وإسود.. إسماعيل ياسين وزينات صدقي ولىلى مراد وفايزة أحمد ونجاة وهند رستم..

أنا من الجيل اللي حب واتحب وكتب جوابات مش إيميلات.. أنا من جيل الذكريات العميقة المحفورة في القلب والروح والعقل.. أنا من آخر جيل حس بقيمة أي حاجة وكل حاجة.. حس بقيمة المحنة والمنحة.. عيط بحرقه على مسلسل زي الشهد والدموع ورأفت الهجان وليالي الحلمية.. وضحك من قلبه على مسلسل سنبل قبل المليون.. أنا عارفة إن مش من العدل على الإطلاق أن تقوم بالحكم على جيل بأكمله بأنه لا يصلح وأنه لا يمتلك ذكريات، وأنك الوحيد من جيل اهتم بالحشو كما اهتم بالبدايات والنهايات.. لكني أشعر بحزن طاغٍ.. لما بسمع التوك شو.. وأتابع أطفال بيغنوا (يسقط يسقط حكم العسكر).. أطفال بي فهموا في الدستور والمحاکمات العسكرية.. والفترة الانتقالية والاستفتاء والعصيان المدني والجماعات الإرهابية والمتحدث العسكري والوقفات الاحتجاجية.. أكثر بكثير من فهمهم في أسامي الحواديت.. ومعرفتهم بألوان قوس قزح السبعة وحفظهم لأغاني الأطفال..

أحاول أن أتجاهل ذكرياتي التي تطاردني كتلك النجوم الصغيرة التي تحوم حول رأس توم.. أبحث عن جيرري ولا أجده.. فأؤكد أنه لم يضربني على رأسي، وأن الزمن هو الوحيد الذي قام بضرب أجيال بأكملها استسلمت له.. ولم تكلف نفسها عناء البحث عن سر شوييس..

من وين الأخت؟!

أنا لا أتحدث عن الحب.. أقنع نفسي بإنني لا أحتاج أن أسرد باستفاضة حديث المشاعر.. أو أن أخبرك كل صباح ومساء أن أغنية تُذكّرني بك.. وأن شريط الأخبار الذي يُلقي بعض الدماء والشظايا وأشلاء الشهداء وخيام النازحين والثلوج على مكتبة التلفاز؛ لا يمنح نظرة عينيك من توصيل الدفء إلى قلبي..

فنجان القهوة الذي أكله ولا أعرف طريقة لقراءته يُحدّثني بلقاء مرتقب.. أحبك بدون توقف.. وذلك النزف من البن السائل على الطبق يُحدّثني بأنك هناك في مكان ما تملك عصا سحرية لتوقف هطول الثلوج فوق خيام الأطفال في مخيم الزعتري وعلى الحدود الأردنية السورية واللبنانية السورية.. وأنك تحمل بطانية ضخمة تلفّ بها الأطفال الفقراء في مصر من موجة صقيع تزرّق لها أرواحهم وقلوبهم وأحلامهم.. أنت حبيبي الأسطوري الذي يقرأ الكف ويسافر عبر فناجين القهوة ويبحث عن حلول جذرية..

لا أخجل وأنا أنظر من النافذة إلى سماء خلقها رب العالمين بإبداع غير معهود؛ من أن أعترف بجهلي وقلة خبرتي.. وبأنني قد وصلت إلى مرحلة اللاوعي التام بالأحداث المحيطة.. وأن ما يجعل نومي شديد الصعوبة.. لا علاقة له بمن على حق ومن على باطل، و هل أنا ضد انقلاب هو في الأصل ثورة أم أنها ثورة على انقلاب!

تقلقني الإنسانية.. ذلك الشعور بالرحمة التي اختفت.. وبالمحبة التي تطايرت كمواد كحولية بمجرد تعرضها للهواء.. أنا طفلة في عالم من الكبار، كنت كذلك وتكيفت.. تأقلمت وتعايشت وتفاهمت.. لكن كيف يعيش الأطفال في دنيا الجمادات؟! في عالم الوحوش الضارية التي تنهش وتقطّع وتأكّل لحوم البشر أحياء ولا ترحم! لا تُجب، أعلم أنك الآن تجلس على عتبات عقلي وتقرأ أفكار الرومانسية وتبتسم..

أحاول أن أخبرك بأن الإنسانية لم تكن يوماً ما رومانية، وإن اعتبرتها رومانية إذن سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم كان أكثر رجل روماني عرفته الخليفة.. وسيدنا عيسى عليه السلام كان رسول المحبة.. أما سيدنا يوسف عليه السلام فكان يملك قلباً قادراً على التسامح لم يملكه غيره من البشر.. أنا لا أبحث عن مثال خالٍ من الشوائب أو مدينة فاضلة.. كل ما هنالك أننا نستحق أوطاناً على قدر أحلامنا العريضة.. أوطان تفهم معنى إنسانيتنا.. وشعوب تملك القدرة على التفاهم.. والتكيف والتسامح والتعايش..

أبعد عن النافذة وأحاول أن أشغل نفسي بطي قطع من الملابس ملقاة بإغفاءة ظهيرة على كرسي خشبي.. أنا أحب الكراسي الخشبية القديمة.. والصور الأبيض والأسود.. أمسك النيجاتف وأشم رائحة مواد التحميص وتلك اللحظات والضحكات التي تنتظر خروجها للعلن في صورة.. أفكر في الفلسطيني في كل مكان.. لازلت أغضب وبشدة عندما يسأل أحدهم (من وين الأخ أو الأخت؟!) فأسمع إجابة كتلك (أنا جنسيتي كذا) بصوت مرتفع، ويلحقها بامتعاض وصوت ضعيف لا يسمع (ولكن من أصل فلسطيني).. أنظر إليه بعتب وأقول (لو كل واحد فينا قال هيك إذن ليش بدنا نرجعها وليش بدنا اليهود يعطونا دولة عاصمتها القدس؟! لو كل واحد قال أنا أمريكي وأنا كندي وأنا تونسي راحت البلاد وبطل في حدا!!)، أبتلع الغصة.. تمتد أناملي إلى اللاب توب المفتوح على قصيدة تميم البرغوثي (في القدس)، تسقط الدموع على الملابس وأنا أتخيل الشوارع والأزقة.. أشم رائحة المدينة.. ألمح الأطفال.. صوت الأذان.. أسراب الحمام.. وهو يقول (في القدس من في القدس إلا أنت).. كيف نطالب اليهودي بالتعايش مع الفلسطيني ونحن الآن المصري لا يتعايش مع المصري والسوري لا يتعايش مع السوري والعراقي لا يتعايش مع العراقي والتونسي والليبي والسوداني.. يتملكني حزن يفوق قدرتي على الاحتمال.. أترك الغسيل المحمل برائحة المعطر كما هو وأجلس على الأرض.. أستند إلى الحائط البارد.. وأضم وجهي..

سينتهي العام.. ويأتي عام جديد.. محمل بالهدايا والمزيد من الأحلام.. نحن سنبقى كما كنا.. أحلامنا ستتضخم.. والقهوة التي كانت وسطاً سيصبح سكرها زيادة لتطغى على المرء..

والأطفال في الشوارع سيزداد عددهم وتقل أعباهم.. الرفاهية لن تنتهي.. والتكنولوجيا لن تتوقف.. واللاوعي سيتعمق.. والشتات سيتوغل في العظام كالهشاشة.. والخيمة ستصبح منزلاً.. وشريط الأخبار المحمل بالدمار سنتوقف عن قراءته.. وسأبقى أنا على رومانسياتي وسذاجتي.. أحلم بأوطان أجمل.. وأحلام قابلة للتحقق.. وعصا سحرية.. ومعجزات إلهية يومية.. ولقاء بعينيك قريب.. وقصيدة لتميم أقل حزنًا.. وزيارة للقدس.. وصلاة في الأقصى.. وإفطار في السيدة زينب في القاهرة.. ومشوار في الصالحية وشوارع الشام.. وغروب على الروشة ببירות.. وذرة مسلوقة من جبل الحسين في شتاء عمّان.. ورحلة لبغداد مع الأصحاب.. وسأجيب دومًا عندما يسألني أحدهم..... (أيوه.. أنا فلسطينية)..

مين بيشبه؟!

أول سؤال بيخطر ببال أي حد بيشوف المولود الجديد (مين بيشبه؟!)

وهون بنرمي النرد وتبدأ مرحلة التخمينات اللانهائية.. اللي بتكون عادة: بيشبه أبوه.. أمه.. خالته.. جده.. عمه..

حتى اللحظة الكلام ممكن يكون منطقي.. بسيط وسهل وقابل للفهم..

لكن الفن الحقيقي لما يظهر على الساحة الناس العلامة الفذة من ذوي الخبرة.. وطبعًا بكل عيلة موجود من هدول الناس كم واحد.. ولإنهم بيمتازوا بالتخصص والحرفية.. فتشبيهتهم بتكون من الدقة لدرجة لا يتصورها عقل بشر..

مناخيره مثل مناخير أبوه..

دقنه بتشبه دقن إمي وخالاته..

بس لا، شوفي جبينه مثل جبين جده عريض..

ألوانه مثل ألوان سته، شعره فاتح وعيونه فاتحة.. (مع التنويه البسيط إن المواليد بشكل عام بيشبهوا بعض بس، وكلهم شبه سبونج بوب لإنهم بيكونوا بايشين من الميو ومزرقين من الولادة وحالتهم حالة، وبالتالي التشبيه لا يمكن يكون دقيق بنسبة تزيد عن العشرة في المية في الشهر الأول)..

و طبعًا أنا في مثل هذه المواقف اللطيفة المتكررة وتحت ضغط سؤال (صح يا لينا؟!) يكون مضطرة أهرز رأسي المحمل بشعور طاغٍ بالغباء العميق.. الطفل المسكين.. فكرة إنه يكون بيشبه حاله.. هادي مش واردة أصلاً!!! كيف يعني ماهو ما حدا بيشبه حاله !!!

دلوقتي لو حاولنا نتغاضى عن موضوع الشكل.. للأسف هندخل في الدائرة المغلقة
للتصرفات..

عقله.. ويقال بالأردني (عقله خزق مثل عقل أبوه) كناية عن العند..

**(طالعة قوية ومفترية لإمها).. التصرفات.. الأفكار.. المواهب.. الاهتمامات.. الاختيارات..
من البداية وحتى النهاية انت مجرد نسخة تم طباعتها على ماكينة التصوير..**

يعني أنا مثلاً ما بحياتي تخيلت إن حد ممكن يشبّهني لستي أم وليد (ناجية النابلسي)..
لكن فجأة ونقلاً عن عمتي طلعت بشرب عصير برتقان كل يوم الصبح مثل ستي.. وبعطس
بصوت عالي مثلها. وبهم بالعمل الاجتماعي جداً (لأنه ناجية النابلسي.. هي مؤسسة الهلال
الأحمر الأردني).. ولما خلصت التشبيهات الخاصة بستي.. صار بيتم تشبيهي بأفراد متعددة
من العيلة.. ولما بفيق من النوم بقعد ضاربة بوز مثل عمي وليد.. وصفات تانية من بابا ومن
ماما وخالتي.. أنا أصلاً عيد ميلادي نفس عيد ميلاد عمو وليد وعمو وائل..

بنخلص هون.. لأ..

بتقرر العيلة الكريمة.. إنك إلى حد ما لازم تكون متناغم مع رغباتهم واهتماماتهم.. وبالتالي
لازم تتخصص في وظيفة بتناسب التطلعات العائلية.. ابن الدكتور دكتور.. وابن المهندس
مهندس.. وابن المحامي محامي.. وابن السياسي سياسي.. وابن الصايغ صايغ.. وهنا
تحضرنى قصة شخصية..

لما خلصت توجيهي (اللي هو ثانوية عامة) حصل اجتماع مصغر للقوى السياسية العائلية،
سأل عمو وائل (فكرك شو نخططها تدرس؟)، وكانت الإجابة نصاً (أبوها خريج حقوق،
وعمها فارس وعمها هشام حقوق، وولاد عمها فارس هلاً بكلية الحقوق، خلاص بنخططها
حقوق). أيوة هادي هي الطريقة اللي بيتم فيها تقرير مصيرك.. وانت يا غافل إلك الله
بالنهاية مضطر تكمل طبيعي..

إحنا بنكبر.. وبنسافر.. وبننتغير..

بنصير بنشبه الأماكن اللي بنسكنها.. والشوارع اللي بنمشي فيها.. المحلات اللي بنشتري منها.. المطربين اللي بنسمع أغانيهم.. الكتاب اللي بنحب كتاباتهم.. الأفلام اللي بنشوفها.. أبطال الكرتون المفضلين عنا..

ويمكن بيوم يخلص العمر..

أو يقرب يخلص..

و نكتشف بالصدفة.. إنو كل اللي كان بدنا إياه إنو نشبه حالنا.. إنو نكون مرتاحين بجسمنا.. بشكلنا.. بشعرنا.. بصوتنا.. بجنسيتنا.. بالأكل اللي بناكله وبنفضله.. بالأماكن اللي ممكن ما تكون أروع ولا أنظف ولا أجمل أماكن في الكون بس بنرتاح فيها..

في النهاية..... اقنع نفسك إنك شبه حالك.. ولو كان هادا مش كفاية لكل الناس؛ على الأقل هو كفاية بالنسبة إلك انت ولكل الناس اللي بتحبك عن جد.....

صباح رمادي محمل بالحنين

اللحظات الاستثنائية التي ترغمك على التأقلم مع مشاعرك محدودة.. نحن خُلقنا لكي نعانده.. ولنكون مزاجيين ومتقلبين وانفعاليين..

وعندما نقرر أن نتحول إلى وتر آلة موسيقية.. أو كوب من القهوة.. أو ربما ماء بارد يخرج من الحنفية صباحًا.. نفقد مشاعرنا على عتبات المنطقي والمفروض والضروري والمحتمل.. نصبح عجينة لينة.. طيبة قابله للتشكل.. إنه الحب القادر على تغييرك من الصلب إلى السائل، وتحويلك إلى بخار لو لزم الأمر..

أن تأتي القوة غير المرئية فتُعيد ترتيب أوراق روحك وتبدلك من تائر ومناضل ورافض.. إلى شخص مستكين إلى قوة توافقية..

الحب المشبع بالأكسجين.. الخالي من الشوائب.. النقي بنسبة مليون في المائة..

أستيقظ صباحًا على أفكار في الحب تجعلني أكثر سعادة.. يكره الناس الجو الضبابي الملون بصبغة خدود رمادية.. تلك السحب التي تحتاج إلى (منشر غسيل) حتى تجف من ممارسة الحب.. قصص وقُبل وحنين وشوق.. مطر أنك ليلها وصباحاتها الندية الصفراء.. وكأن السُحب تُفرغ ما بها من ذكريات وقصص عشق على الأرض.. تُنبت زرعها وتروي ظمأها بالطبطة والشغف العذري..

النساء يعشقن الرجل الحنون.. والرجال لا يعلمون ذلك.. وربما يعلمون لكن لا قوة لديهم على إظهار الحنية كما كان مقدر لها أن تظهر.. أن تتلامس الأنامل عبر كوب من الماء تعقبها نظرة وابتسامة.. فتلك الحنية التي تختبئ كفتاة خجول بكر.. هي كل ما في الكون من سعادة..

أن تُحدثني عبر مكالمة دولية طويلة.. لثُطلعتني على قصة ما.. فأضحك.. وتجلس بعدها وتتنفس بانسيابية من ارتاح بعد عناء يوم طويل لمجرد رنات صغيرة.. هي ضحكاتي التي انتزعتها.. تجف السحب.. وتسترق أشعة الشمس النظر إلى أسناني.. وتصبح الحياة أكثر طيبة.. والمحتمل أكثر مصداقية.. والحب أقل خطورة.. واللون الرمادي غير كئيب على الإطلاق..

أفتح النافذة.. وألقي بأفكاري بعيدًا.. أصنع منها طائرات ورقية.. أتابعها تطير بين السحب وتُعلن عن ميلاد موجة برد جديدة.. أسند رأسي إلى حافة الشباك وأستمع إلى موسيقى تبعث من بين طيات روحي.. تُذكرني بكل المخلوقات التي وُجدت على وجه الكرة الأرضية ولم يهتم بها أحد كما يجب.. إنها المتعة التي تجذبنا بقوة نحو زرقة البحر وتُسنينا صوت الأمواج.. إنها الفرحة بزقزقة العصافير التي تُسنينا الانسيابية في طيرانها.. نحن لا نتعلم فن الإصغاء إلى روح الأشياء.. الشباك البارد الذي أضع رأسي مسنودة على إطاره فأصغي إلى نفسه الهادئ الراضي بقطرات المطر التي التصقت به ليلاً وأبت أن تتركه راحلة صباحًا..

بالأمس كتبت شيئًا.. فاتهمني أحد القراء بالتفاهة.. غضبت.. ولم أصغي إلى احتمالية تفاهتي في بعض الأوقات.. نحن ننتشي رغماً عنا بالإطراء ونحاول أن نُبعد شبح النقد بعيدًا.. نصرخ ونخبط أيدينا في الهواء ونُدعي أننا على حق.. نكره أن يزعجنا الغير برأي لا يُناسب طموحاتنا ولا لوننا المفضل.. أنا مثلاً أفضل الآراء البمبي والتي تُناسب روحي الطفولية.. أشعر بالملل عندما ينتقدني أحدهم بتلك النبرة المستفيضة الواضحة.. أخجل من أن أخبره بأني لا أهتم.. فأنا امرأة تغضب معظم الوقت من باب التنفيس عن رغباتها المحبطة.. أراجع بعدها.. ويصغر مقاسي أربع نمر عندما يعاتبني أحدهم أو يُحدثني بالمنطق..

عزيزي الرجل الحنون (لا تنس، فقد اتفقنا على تلك النقطة سابقًا) الفتاة.. تغضب معظم الأوقات لأنها تحتاج إلى رد فعل ما يناسب طموحها العاطفي.. المزيد من الاهتمام وحضن

كبير مقاس إكس لارج.. فلا تعاتبها على ما قالته لأنها ببساطة كانت مضطرة.. فعندما قفزت بكل ثقلها على قدمك فعلتها لتمارس دور الأمومة في مداواة قدمك ولتحبسك بجوارها أطول فترة ممكنة..

أغلق النافذة وأعود إلى جهاز اللابتوب..

الجو الرمادي.. وتلك السحب التي تطير كلما حاولت أن أنشرها لتجف.. ابتساماتي المعلقة على جدار الغرفة في إطار خلف الباب.. الطيبة التي تنام تحت وسادتي طوال الوقت.. وحالة من الحنين تدفعني لتفجير الحنين في قلوبكم جميعاً.. لا أهتم بالمعني.. ولا أهتم بأن أكتب سيرتي الذاتية.. لن أشعر بسعادة وأنا أجبرك أن تقرأ يا عزيزي بأني استيقظت في تمام الساعة السادسة صباحاً وحاولت جاهدة لمدة ساعة ونصف أن أتغلب على التهاب الأعصاب وأتخلص من تنميل قدمي وأقف عليها.. لن تروق لي عيناك يا سيدتي وهي تقرأ بأني خرجت من المنزل برفقة سالم السواق إلى السوق لأبحث عن بيجاما جديدة تُدخل الفرحة إلى روحي والدفء إلى أطرافي، عندما أسافر عمّان التي بدأت أشتاق إلى رائحتها قريباً..

سأكون أكثر سعادة وسيخف إحساسي بتنميل أصابعي وانتفاخها الدائم عندما أنقل إليكم تلك الحالة من الحنين.. الرغبة في الإصغاء.. القدرة على الطبطبة وممارسة الحكي والفضفضة.. الحاجة الماسة إلى حزن دون عتاب.. الشوق إلى المطر الرمادي المحمل بالذكريات.. التماس العذر إلى كل الألم.. والإبقاء على الأحلام في درج أمين في خزانة روحك السحرية..

كوكب الشيكولاتة تسكنه مخلوقات من الفانيليا

موودي اشتياق:

أنا أكتبني كما يحلو لي وحدي..

أقفز على عتبات الحلم.. أنثر قطع من الشجن فوق طبق من المعكرونة وأتناوله بشهية.. لا أحد يعلم عن الأسرار التي أضعتها في أحذيتي ذات الكعب العالي والتي لا أرتديها لا لأنها تؤلم ظهري، بل لأنني أقع من نسمة هواء محملة برائحة الآيس كريم على الأرض.. ورغم شجاعتي التي تميزني عن كل الدبائيب والنجوم الصغيرة.. إلا أنني لا أستعرض مواهبي إلا ما ندر..

لا أزور مدينة الملاهي ولا أعشق السير على شاطئ البحر في لحظات الغروب لأنك لا تتواجد في كل الأوقات لتشاركني اللعب أو التمشية.. تعودت أن تزورني في أوقات لا أتوقعها وتحمل معك كيسًا من الدقيق وآخر من السكر لنجلس ونصنع الكعك معًا..

كنت أحلم بمنزل في غابة ذهبية من سنابل قمح.. جدرانها بسكويت بالزنجبيل أطهو فيه حساء الطماطم وأخبز قطعًا من الخبز بالزيتون.. تجلس معي على درج من عيدان القرفة وتحكي لي الحواديت.. أعلمك كيف تُسرح لي شعري على شكل ضفيرة طويلة.. وأصنع لك من مشاعري الملونة بألوان قوس قزح آلاف القمصان فلا تضطر أن تقف أمام دولابك صباحًا لتفكر.. ماذا أرتدي؟!

بالأمس كنت أنظر من نافذة السيارة إلى طفل صغير ألصق وجهه بزجاج محل للألعاب.. وبرغم ظلمة المكان واستحالة الرؤية وقناعتي التامة بأنه لم ير لعبة واحدة.. إلا أنه قفز بمرح على الرصيف.. ترددت ضحكاته وهو يُصفق ويرقص كالهنود الحمر.. لم أتمالك نفسي

من السعادة ودمعت عيناى.. أنت فى قلبى كمحل الألعاب.. قد تُطفئ الأنوار وتختفى لكنى أعلم بأنك تُخبئ لى لعبة فى مكان ما على رف من الأرفف.. لعبة تحمل اسمى وعلى ذوقى.. تلك الأشياء التى تُشبهنى ولا يعلم عنها أحد.. كصوت الفلوت أو الموسيقى التى يرقص بها الهارب فرحًا عندما تُلامسه أنامل دافئة..

كوكب الشوكولاتة الذى تسكنه مخلوقات من الفانيليا والحليب موجود.. فقد حدثتكَ عنه يوم محاكمة مرسى.. أخبرتك بأن المنقسمين جميعًا من عشاق الشوكولاتة بالبندق والشوكولاتة بالحليب وحتى عشاق الشوكولاتة السوداء؛ يمكننا أن نقنعهم بالهجرة معنا إلى هناك.. حيث تختفى الاختلافات وتذوب الفوارق مع أول قضة محشوة بالكراميل أو الفراولة السائلة..

يمكننا أن نصنع الحليب المخفوق والمعجنات الفرنسية وكل أنواع الحلويات.. لن يكثر أحد بتشكيل لجان للتذوق أو وضع دستور.. لن يُستفتى الشعب ولن يتم عزل أحد من مطبخه.. وأعدك بأن الثورة أو الانقلاب سنتركهما على كوكب الرجيم الكيمياءى.. وأن معيار التفوق الوحيد سيكون فى جودة المنتج..

سأهدىك ملعقتى الخشبية التى بها سر الطبخة.. ولن أنشرها فى جريدة قومية أو صفراء، وسأكتفى بالجلوس بجوار المدفأة لتتابعك..

مودى خوف:

لم أبرع يومًا فى حصة الألعاب الرياضية.. كنت أنظر إلى التلاميذ بطرف عيني وهم يقفزون بمرح، يرتدون التى شيرتات ويقذفون الكور والمضارب.. يخطط كل منهم للعبة ما وخطة جديدة.. وأنا أتابعهم بصمت، وأتساءل ما هو الشعور الذى يباغتك عندما تركز فترة طويلة جدًا لتصل فى النهاية إلى قطعة مخرمة من القماش وتلقى الكرة بداخلها وسط تصفيق حاد وموسيقى تصويرية من ضجة الفريق.. لم أخط يومًا بإجابة مقنعة.. ربما هو الشعور بالفوز.. أو تلك اللحظة العلنية للجميع والتى يحقق فيها أحدهم مكسبًا جماعيًا

يتم تقسيمه بالتساوي.. وربما هو الاستمتاع بالجهد المبذول للحصول على شيء ما.. وغالبًا الإجابة لم تكن أيًا مما سبق ذكره.. لم أمارس الرياضة ولو من باب التجربة، وكنت ولازلت أتحجج بأني أصاب بفوبيا من منظر الكور الدائرية والتي لا أستطيع أن ألقفها حتى وإن كانت في حجم فيل.. أجلس على مقاعد المتفرجين وربما أتحمس قليلاً وأهتف بالتشجيع الخجول، وفي معظم الأحيان أكتفي بالصمت.. تُخبرني الآن وأنا في الملعب وأركض بكامل طاقتي وأتصبب عرقًا وألهث بأني قد أكون لا أحد.. وأن تلك الحقيقة المجردة من أي كريمة رومانسية وعاطفية هي خلاصة الخلاصة.. وأنك رغم تواطؤك العاطفي السري معي تلعب في الفريق المنافس، وأني لا أستطيع أن أنظر في عيني مدربي لأخبره بأني سأخسر أمامك بناء على اتفاق مسبق وخطة موضوعة بحرفية من كلانا.. تطالبني بالهدوء وضبط النفس وأنا أقفز من جراء التوتر والأدرنالين والإرهاق.. أحاول أن أناور التهاب الأعصاب وأن أمرر عروقي من بين قدميه فلا يباغتني بمقص يقذفني فيه أرضًا فأخرج ولا أعاود اللعب لفترة طويلة.. أحاول أن أشرح لك فتتوه الكلمات وتسقط في حلقي ويختفي صوتي في لحظة ضبابية تعيسة للغاية.. أجلس أرضًا وأخبط ظهري بالحائط الذي يفصلني عن عالم لا أنتمي لكل مفرداته.. أخرج من ساحة اللعب.. أترك التمرين وأنا أفكر بوضوح.. أين ذهبت فوبيا الكور الدائرية؟ أعلم أنني لا أصلح للركض أو لإمسك مضرب أو حتى للم الكور من خارج الملعب وإعادتها.. وأعرف أن كل المفردات الرياضية لا تناسبني شكلاً أو موضوعاً.. لكنني حصلت على الإجابة.. إنه الخوف من الفشل.. هو الذي يدفعنا للركض والعرق ووضع الخطط وبذل كل طاقتنا.. الخوف من أن نصبح لا أحد..

موودي حواديت :

سأبني بيتا داخل شجرة كرز.. وسأجلس فيه أحتسي الشاي بلبن وأخيظ وشاحًا لا نهائيًا.. سأقص منه قطعًا وأهديها للقلوب التي تبكي على ضفاف نهر الشوكولاتة كتميمة حظ شتوية.. سأصيب قلب أحدهم بداء الثرثرة فلا يكف عن حبي.. وسأصنع شمسًا فضية لا تحرق صيفًا ولا تصاب بالخمول في الأيام الثلجية.. سأتعلم عزف الكمان وسأغني لحبات الكرز فترقص وتتزوج وتنجب شجر كرز صغير يعلمني ركوب العجل وأحكي له حواديت..

كنز من الجبنة البيضاء

«في حياة كل منا أشياء ثمينة جدًا، لكنها تجعل الآخرين يتهمونا بالتفاهة أو الضحالة أو الجنون إذا عرفوا بها، ونتهمهم نحن بالغباء وتبلد المشاعر عندما يبدو سخريتهم».

أحمد خالد توفيق...

١

كانت جدتي تنظر إلى وجه أحد أحفادها.. تضع كف يدها المرتعشة على جبينه.. وتنادي بصوت ضعيف (جيبولي شوية ملح لأرقيه).. ينام أحدنا واضعًا رأسه في حجرها بينما تقبض هي على الملح وتتمتم بكلمات غير مفهومة وتنفخ.. تحرك يدها باستمرار.. تنتهي وقد أوشكنا على النوم.. تنادي مجددًا (هاتولي قطعة قصدير) تضع الملح فيها وتطالبهم بحرقه على النار.. هي تحرق عينًا لم ترها، ونحن نطمئن لحضن «تيتا» ونقنع بأننا الآن أفضل.. وأن المرض تبخر إلى غير رجعة تاركًا خلفه قطعة نقدية من فئة (الربع دينار) تتيح لك شراء المزيد من الحلوى..

٢

أنا الآن أجلس على ترابيزة السفارة في بيت حدائق القبة.. أرسم الفراشات.. الواحدة تلو الأخرى.. يخرج عمو حسين من الحمام وينظر إلى المجهود المبذول.. يبدي إعجابه بعبقريتي المبكرة.. ينادي على خالتو عليا التي تخرج من المطبخ وتطبع قبلة على وجنتي.. أرسم.. ساعة واثنين وثلاث وخمس.. وعندما أنتهي يكون هناك ٢٥ فراشة من ورق تحلق في أرجاء المكان.. يأخذها عمو حسين ويبدأ بوضعها على الجدران.. مدخل البيت.. الجلوس.. السفارة.. الصالون.. هنا يتدخل ابن خالتي عمر (بابا انت عارف إن نيفين وأهلها

جايين يزورونا النهاردة؟!، عمو حسين (أيوة عارف).. عمر(طيب ممكن نأجل معرض لينا ل بكره؟ أصل مش معقول يدخلوا البيت والحيطان كلها ورق عليه فراشات).. عمو حسين (فرصة يتفرجوا معنا على المعرض)..

تبقى لوحاتي معلقة على الجدران.. وتتم الزيارة على خير.. ويبيدي الجميع إعجابهم بجو الفراشات والربيع الذي يحاصرهم ويطل من ورق الحائط المزين بصور أبيض وأسود لخالتي عليا وعمو حسين وهشام وعمر ومايسة.. أنا الآن أستعد لإقامة أول معرض رسم حقيقي.. لوحات كبيرة تخلو من الفراشات.. عمو حسين سيكون موجودًا بروحه الطيبة التي لم تفارقني يومًا ما ليشهد على مولد فنانة آمن بها قبل أن تؤمن هي بنفسها.. (أهدي لوحاتي الـ ٢٥ في معرضي الأول لروح الغائب الحاضر حسين نياز)..

٣

خالتي نبوية.. هي خالتي اللي معرفهاش قوي، ويمكن أعرفها أكثر من أي حد ثاني.. لما جدي اتجوز جدتي كان فيه طفلة اسمها نبوية معاه.. نبوية اللي ماتت أمها وتركتها عمرها ٦ سنين مع أبوها، كانت طفلة بعيدة.. عاشت مع أهل أمها وأنا للأسف ماختلطش بيها قوي.. كنت أوقات أشوفها هي والأستاذ أحمد (الله يرحمه) جوزها مدرس اللغة العربية اللي فقد نظره وهو في عز شبابه، لكنه كان يمتلك بصيرة مخيفة.. الراجل ده ماينفعلش أتكلم عنه بسرعة كده لأنه كان أكثر شخصية كوميدية بحرفية سمعت عنها في حياتي.. نرجع لنونو (خالتي نبوية).. عرفت على كبر وحببتها على كبر، وحب الكبر ده مختلف لأنه اختياري، يا تحب فلان يا إما لا.. السنة اللي فاتت اتشاركنا سوا في نفس الأوضة لمدة ٣ أيام، وشعرت بحزن شديد لما خلصوا، وبرغم إنها كانت بتصحى من الفجر وأنا بصحى أقعد معاها عشان ماتخيلتش إني أسيب الفرصة دي تفلت من إيدي.. إني أتعرف على خالتي كده وأنا كبيرة حاجة مبهجة.. أسمع حواديت ونصلي الفجر ونضحك ونعيط وفي نفس اللحظة.. خالتي نبوية ماكملتش تعليمها، بس تأثرها بأستاذ أحمد ظاهر

بشكل مخيف.. تتكلم وفجأة تقولك (ولقد أصابني الدهول وكنت أشعر بمفاجأة)، طبعًا متخيلين ضحك السنين، إيه اللي جاب الفصحى في الحوار؟ خالتي اللي اشتريتها هدية كانت الأولى في حياتي، كلمتني النهارده وبعد سنة كاملة لازالت تشعر بالامتنان لتلك الجلابية وتتحدث عنها بسعادة، وكأني أهديتها العالم بحاله.. وهي بتدعيلي حكلي إنها مسكت كتابي اللي أنا اديتها لها آخر مرة ولفت بيه العلاقمة (قرية من قرى محافظة الشرقية) وإن بنت العمدة قرأت الكتاب ومدير ابنها في الشغل وناس كتير جدًا.. وإنها كانت بتقولهم عشان تعرفوا إني من عيلة واصله.. خالتي التي لا تعلم بأني لم أشعر بالفخر لأي كلمة كتبتها كما شعرت بالفخر في اللحظة دي لأني أدخلت السعادة على روحها.. خالتي اللي بدعي من قلبي ربنا يمد في عمري وعمرها عشان أعرفها أكثر وأستمع بيها أكثر وأحبها على كبر باختياري الشخصي، وأكل من إيديها الحلوة أجمل محشي كرنب وأطعم بط في الكون.. خالتي نبوية.. نونو الغالية.. كل السنين اللي فاتت كنتى تاركة فراغ كبير في عالمنا، وربنا إداني الوقت المناسب عشان ترجعي تمليه تاني بحنانك وقلبك الأخضر الزرعي.. المليون خير..

٤

عشاق القهوة التركي يعلمون أن تقليب الكنكة على النار في لحظة ما.. يبعث تلك الرائحة المحببة والتي تُدخل الكفايين في مساماتك وتعلن عن إيقاظ روحك المستكينة.. الرائحة لها مفعول خمسة فناجين قهوة معًا..

كفتاة وُلدت من رحم الحواديت وعاشت وانتصرت وستموت بين الشفاه يومًا، عندما تجلس فتاة صغيرة على السرير تحضن دبدوبًا (حضونًا يملك موهبة توزيع الأحضان القطنية)، وتتحدث عن تلك الحدوتة التي سقطت في أحلامها لترتطم بأرض الغرفة.. لأني أنا الحدوتة، سأعترف أن ذكرياتي البعيدة كرائحة القهوة التركي.. توقظ حواسي على غفلة..

جدتي لأمي.. أمينة هانم الغروري.. قيل لي يومًا ما إن ذلك البياض الشاهق والعينين الزرقاوين لأنها من أصول تركية.. ولم أخبر أحدًا بالحقيقة التي اكتشفتها وأنا طفلة لم أتجاوز عامي السادس.. جدتي كانت تربطها قرابة بالجبنة البيضاء فقط ولا تمت بصلة للأتراك.. ذلك الحضن الطري الأبيض الطيب، والذي يصلح لسندوتش طفل صغير أو مراهق يستذكر مساءً أو فتاة تتابع فيلمًا أبيض وأسود وتبكي حبيبًا مجهولاً.. جدتي ببساطة من عائلة الجبنة البيضاء..

أذكر جيدًا ذلك الصباح الندي عندما أخذتني أمي من يدي وقالت: أقعدي هنا في الحمام مع تيتا وهي بتستحمي علشان لو احتاجت حاجة.. أمينة هانم لم تحتاجني، وصورة الشبشب الأزرق البلاستيك الشائع هي التي بقيت معي في تلك الذاكرة (هي تيتا هتستحمي بالشبشب؟).. جلست على السرير بجلاوية كحلي ناعمة ووضعت الطرحة فوق الإيشارب.. نظرت إلى وجهي وضممتني إلى صدرها.. جدتي التي لازلت أحمل رائحتها في صدري لم تكن لتضع مستحضرات التجميل أو البرفان.. رائحة الحضن التي لا تفارقني هي رائحة قلبها الأبيض التي كانت تغمرنا بها جميعًا ولا يشعر بها سوى الأطفال أمثالي.. لمحت بعيني السلسلة الذهب التي تحمل قطعًا مخروطية صغيرة تُذكرني بالآيس كريم.. جدتي التي رحلت في هذا اليوم تحديدًا بكل طيبة وهي تضع رأسها في حضن خالتي عليا.. تركتني لأتابع أفلام إسماعيل ياسين وأضحك بدونها، ولأفتقدها لأنها تشاركني الفرحة على برامج الكرتون.. لم أجلس في حضن أحدهم ليطعممني الأرز بالحليب ويُحدّثني عن مولد النبي وذلك الموكب الأخضر الذي يلف شوارع مدينة أبوكبير.. أمينة هانم التي تركت ملمس كفها في يد خالتو عليا حتى هذه اللحظة، ورائحة حضنها في حضن خالو عصام الطيب ودموعه المحبة، وقدرة أمي المرححة على سرد الحواديت وتقليد الشخصيات، وجدعنتها في خالو محمد، وصرامتها في العبور بعائلتها لبر الأمان كخالتي ميمي.. جدتي التي تركت في أولادها الخمسة قطعًا من الأحجية ورحلت تاركة لي سندوتش جبنة بيضاء والكثير من روائح الذكريات والحواديت.. (في جنة الخلد يا أمينة هانم يا أيتها النفس المطمئنة)..

1. [الغلاف](#)
2. [١٨٦ عمارات امتداد رمسيس ٢ أمام أرض المعارض مدينة نصر](#)
3. [إهداء](#)
4. [إبتسامات مجهولة المصدر](#)
5. [مونيوبولي](#)
6. [العشا آيس كريم](#)
7. [نامي يا مستورة](#)
8. [مسرحية هزلية في صورة بني آدم](#)
9. [شعور إكسكلوسف](#)
10. [دير بالك ع حالك](#)
11. [البلكونة](#)
12. [حبوب زرقاء للبحر](#)
13. [مصر انتي فين بقى ٤!](#)
14. [حساب الكالوري للثورة](#)
15. [جيش من الدباديب](#)
16. [أنا والجيس ورأفت الهجان!](#)
17. [كولونيا أبو علي](#)
18. [الجيلي كولا](#)
19. [النوتي تشير](#)
20. [أحضان افتراضية](#)
21. [عفاريت الكتابة](#)
22. [رجل لدور البطولة](#)
23. [عمو مروان](#)
24. [أحلام أكشن](#)

25. ما عاش. يا بابا
26. الحب هو
27. مكالمة دولي
28. سير شويبيس
29. من. وين الأخت؟!
30. مين. يشبهه؟!
31. صباح. رمادي محمل. بالحنين
32. كوكب الشيكولاتة تسكنه مخلوقات من الفانيليا
33. كنز من الجبنة البيضاء